الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

البيئة الاجتماعية المصرية في أدب نجيب محفوظ قصر الشوق- أنموذجا-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالبتين :

* **إيمان بزيزة**
* **بسمة شحدان**

إشراف الأستاذ :

* **فطيمة بوقاسة**

السنة الجامعية: **2014/2013**

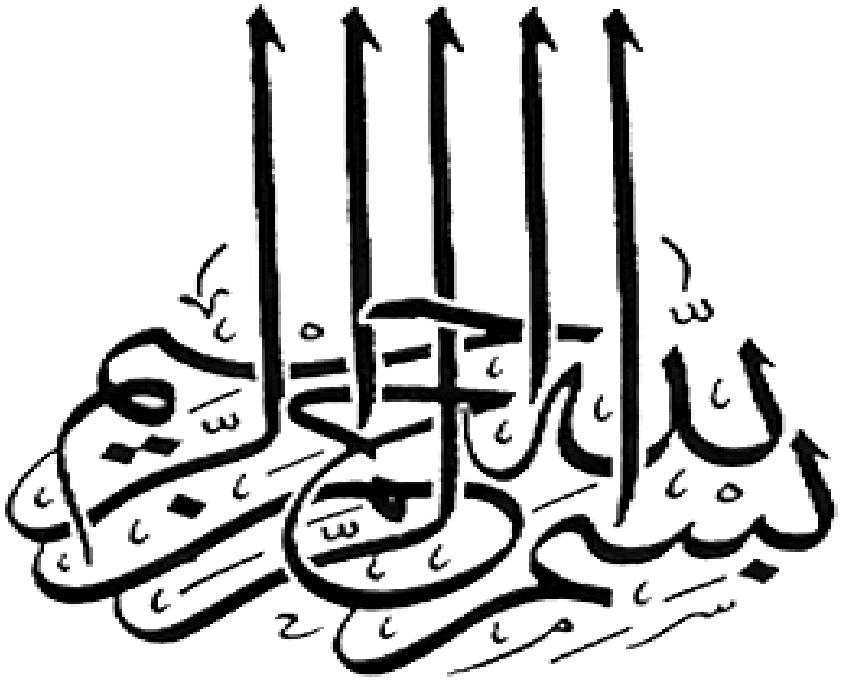

دعـــــاء

قال صلى الله عليه وسلم :

« اللهم علمني ما ينفعني وانفعني بما علمتني»

قال أحد الحكماء :

« إن العلم يبطئ اللزام بعيد المرام، لا يدرك بالسهام ولا يرى في المنام، ولا يورث عند الأباء والأعمام وإنما هو شجرة لا تصلح إلا بالغرس ولا تغرس إلا في النفس ولا تسقى إلا بالدرس ولا تنبت إلا بإدمان السهر وقلة النوم وصلة الليل باليوم ».

اللهم : إذا أعطيتني مالا لا تأخذ سعادتي

وإذا أعطيتني قوة لا تأخذ تواضعي

وإذا أعطيتني نجاحا لا تأخذ تواضعي

وإذا أعطيتني تواضعا لا تأخذ اعتزازي بكرامتي

وإذا أجردتني من المال أترك لي الأمل

وإذا أجردتني من النجاح أترك لي القوة

وإذا أجردتني من نعمة الصحة أترك لي نعمة الإيمان.

شكر وعرفان

هو الله لا إله إلى هو نحمده ونشكره العزيز الحكيم على توفيقه لنا في هذا العمل .

يقول سيد الخلق صلى الله عليه وسلم :

«من اصطنع لكم معروفا فجازوه، فإن عجزتم عن مجازته فادعوا له حتى تعلموا أنكم شكرتم فإن الله شاكر يحب الشاكرين»

تتقدم بخالص الشكر والعرفان وفائق التقدير إلى كل من علمنا حرفا طوال حياته وخاصة الأستاذ "دكاكرة بليلي والأستاذ "عيوان" وإلى الأستاذة الفاضلة "بوقاسة فاطمة" التي ساهمت معنا في إنجاز هذا العمل من خلال نصائحها القيمة وتوجيهاتها السديدة فقد كانت لنا نعمة المشرفة فشكرا وجزاك الله خيرا .

كما أشكر العاملة "سمهان" في مكتبة ثانوية بوحنة مسعود وأتمنى لها الشفاء العاجل .

إهـــداء

إلى أعز مخلوقين في الوجود بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فيهما :

بسم الله الرحمان الرحيم

«وقل ربي أرحمهما كما ربياني صغيرا» صدق الله العظيم

إلى من أفنت شبابها وسكبته في شبابي، إلى من هي أغلى أحبابي أمي الغالية "فاطمة" .

إلى من لم يترك في قلبي سوى كل شيء جميل، إلى من أحمد عليه العزيز الجليل أبي الغالي "عز الدين"

إلى روح جدي الطاهرة "رحمه الله"

إلى من ذكراه أحلى الذكريات، إلى من لا أنساه حتى الممات أدعو له في كل الصلوات، ومن جعلني أحب مهنة التعليم وأخطو هذه الخطوات، ومن يكون قدوتي في هذه الحياة، فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : «كاد المعلم أن يكون رسولا» الأستاذ "توهامي إبراهيم" .

إلى من كانت لي فيض حنان وقلبها لي بيت الأمان أختي العزيزة "راوية"

إلى المؤنسات الغاليات : "السلطانة، وفاء، وكريمة" .

إلى بسمتي في هاته الحياة أخي الصغير "باديس"

إلى كتاكيت البيت "سلسبيل وأيمن وآدم" وكل عائلته .

إلى من دب في الأمل والإرادة وملأت رفقته حياتي بالسعادة خطيبي

ورفيق دربي "يوسف" وإلى كل عائلته

إلى الغالية التي علمتني معنى الصداقة أمينة والمحبة والحنونة "فاطمة"

والمخلصة "مسعودة" والتي لم ينسني البعد في صداقتها "سمية"

ورفيقاتي دربي : "خلود، دليلة وسامية، وبسمة" .

- إيمـان -

إهـــداء

إلى زهرة الفوائد وعشق الروح، إلى من أرضعتني الحب والحنان .

إلى الشمس والقمر، إلى بسمة الحياة وتلعيم الجراح.

إلى الأرض الندية والبحر المعطاء

إلى ندى السماء ورشد الرجولة

إلى قلبي وروحي أمي "مليكة" وأبي "عبد الباقي"

إلى مشارق الأرض، إلى روح جدتي الطاهرة الزكية رحمها الله وأدخلها فسيح جنانه

إلى دور الحياة، إلى مشعل دربي وأنواره، إلى إخواتي الأعزاء، "لمياء، منى، أسامة" .

إلى خطيبي العزيز "يحي" ورفيق دربي إنشاء الله

إلى ولدته . . . . .أمي الثانية بكل حنانها ورقتها

إلى والدته . . . . أبي الثاني بكل رشده ورجولته

إلى الأشقاء "خولة، مريم، مصعب" .

إلى القلب الطاهر الرقيق، والنفس البريئة، إلى الريحانة الكتكوتة الصغيرة "أميمة"

إلى الأهل والأقرباء وبخاصة جدتي العزيزة، وخالتي "نعيمة، وسعاد"

إلى صحبتي وخلاتي ورفاق دربي، إلى سمرهم وحديثهم خاصة

"ابتسام وأختها "إيمان، الوفية، إيمان التي تشاركني

هذا العمل، إيمان، لمياء . . . . . "

- بسمـــة -

مقدمـــــــة

الفصل الأول

البيئة والمجتمع والأدب

I. ضبط المصطلحات

1. تعريف الرواية

2. تعريف البيئة

3. تعريف المجتمع

II. علاقة البيئة بالأدب

III. علاقة المجتمع بالأدب

IV. ظهور الواقعية

I. ضبط المصطلحات :

1. تعريف الروايـــة :

أ. **لغـــة :** ورد تعريف الرواية في العديد من المعاجم اللغوية القديمة حيث ورد في لسان العرب : "رجل روا، إذا كان الاستقاء بالرواية له صناعة، يقال : جاء رواء القوم، في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سمي السحاب روايا البلاد، الروايا من الإبل : الحوامل للماء، واحدة لها رواية فقد شبهها بها، وبه سميت المزادة رواية، وقيل بالعكس، وفي حديث بدر : فإذا هو بروايا قريش أي إبلهم التي كانوا يستقون عليها، وتروى القوم ورووا، تزودوا بالماء، ويوم التروية : يوم قبل يوم عرفة، وهو الثامن من ذي الحجة، سمي به لأن الحجاج يترووون فيه من الماء وينهضون إلى منى ولا ماء بها فيتزودون ريهم من الماء أي يسقون ويستقون"[1].

وقد وردت تعاريف أخـــرى للرواية في معجم الصحـــاح للجوهري نذكر منها :" رويت القوم أرويهم، إذا استقيت لهم الماء، ورويته في الشعر ترية، أي حملته على روايته، وأرويته أيضا.

وسمي يوم التروية لأنهم كانوا يرتوون فيه الماء لما بعد.

ورويت في الأمر، إذا نظرت فيه وفكرت، يهمز، ولا يهمز.

وتقول : أنشد القصيدة يا هذا، ولا تقل اروها، ألا أن تأمره بروايتها. أي باستظهارها.

والراية : العلم.

والرواية : البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقي عليه.

---

[1] ابن منظور : لسان العرب، ضبط خالد رشيد القاضي، ج5، ط1، دار صبح، بيروت، لبنان، 2006م، ص 368.

والعامة تسمي المزادة رواية ودلك جائز على الاستعارة و الأصل ما ذكرناه"[2].

كما ورد أيضا في كتاب المنجد في اللغة العربية المعاصرة :

" مادة رواية " : روي، رواية : نقل حدث ووصفه، حكى وقص ما يعرف من تفاصيل : " روى مغامرته "، " روى معركة "، " روى حادثة ".

راو : ج. رواة : من يروي حادثا أو قصة.

رواية : ج. روايات : راو : " رواية قدير "، قصاص، مستق، " رجل رواية "، كثير الرواية، روائي : خاص برواية، قصصي، " أسلوب روائي "، خيالي، وهمي، مغامرة روائية، مؤلف روايات.

" رواية " : سرد : " وراية وقائع " حقل خبرا أو كلام : "صدق رواية "، قصة نثرية طويلة، حكاية : "رواية تاريخية" مسرحية، تمثيلية : رواية من خمسة فصول، خبر أو حديث يتصرف بالأمانة و الدقة، " رواية أسفاره "، صورة الخبر أو الكلام : " حادث له روايات مختلفة " في هدا الحديث روايتان " رواية ناطقة " : قلم ناطق، " رواية هزلية " : ملهاة، مسرحية هزلية " رواية ناطقة " " قلم ناطق "[3].

ب. اصطلاحا :

تعد الرواية من أهم الأجناس الأدبية التي تصور الواقع بطريقة مباشرة وغير مباشرة، وهي " كما معلوم لون تعبيري غربي دخل البلاد العربية حديثا مع بداية القرن 19، اثر اتصال الشرق بالغرب، وما انجر عنه من تفاعل حضاري كبير كان من نتائجه الواضحة تعرف العرب على بعض الأجناس الأدبية الغربية كالرواية والمسرح

---

[2] إسماعيل بن حماد الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (ت ج) أحمد عبد الغفور عطار الجز، ج6، ج6، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1990م، ص 2364.

[3] أنطوان نعمة (وآخرون) : المنجد في اللغة العربية المعاصرة ط2، دار المشرق، بيروت، لبنان، (د ت)، ص60.

وغيرهما. وهدا النوع الأدبي لم يكن له وجود في الأدب العربي قبل اتصال العرب بالحضارة الغربية في القرن التاسع عشر سواء عن طريق السفر إلى أوروبا في بعثات تعليمية أو عن طريق قراءة المؤلفات الغربية في لغتها الأصلية أو عن طريق ترجمات لأعمال الغربية"[4].

والرواية باختلاف أنواعها ن ومميزاتها وكتابها و الدارسين لها فهي لم تحض بتعريف محدود ودقيق، فشأنها شأن ألوان الإبداع الفني والأدبي الأخرى مختلفة المذاقات باختلاف الألسنة والقلوب والأدمغة التي تتلقاها "وربما كان كلامنا موافقا لما يشير إليه الدكتور عبد الملك مرتاض من صعوبة الوقوف على تعريف محدد للرواية وذلك في قوله تتخذ الرواية لنفسها ألف وجه،وترتدي في هيئتها ألف رداء، وتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل مما يعسر تعريفها تعريفا جامعا"[5].

ولكن رغم الصعوبات التي واجهت النقاد والأدباء في إعطاء تعريف دقيق للرواية، وهذا لم يمنع من وضع بعض التعريفات والمفاهيم لهذا الفن الأدبي وأخذوا في تناوله والإبداع فيه ومن هذه المفاهيم التي أعطيت للرواية " أنها قصة نثرية طويلة لا يجب أن تقل عن خمسين ألف كلمة"[6].

فالرواية إذن قصة نثرية ولكنها تكون طويلة إذ وضع له شرط وهو أن لا تقل عن خمسين ألف كلمة، حيث تكون هذه الرواية تحمل مغزى ورسالة موجهة إلى مختلف طبقات المجتمع، ومن بعض كتاب فن الرواية من يستخدم اللغة العامية في رواياته وذلك لتوصيل فكرة للقارئ، فالرواة في مختلف رواياتهم اجتماعية كانت أو

---

[4] أ . فضيلة فاطمة دروش : سوسيولوجيا الأدب و الرواية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2013، ص115.

[5] المرجع نفسه، ص115.

[6] صابر عبد الدايم : فنون الأدب المعاصر بين النزعة الواقعية والتجربة التأملية، (د ط)، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ص257.

تاريخية أو تعبيرية أو غيرها من الأنواع الروائية يعبرون عن المجتمع والواقع المعيشي الذي يحيوون فيه فهم يصورون معاناة الشعوب ومآسيهم، كذلك أفراحهم ومختلف المواقف التراجيدية أو الكوميدية على حد سواء، فهذه الروايات هي بمثابة المرآة التي تعكس الواقع والمجتمع فهي تحكي وتسرد وقائع اجتماعية وثقافية وسياسية حيث تروي "أحداثا تسعى لان تمثل الحقيقة وتعكس مواقف الإنسان وتجسيد ما في العالم، أو تجسيد بعضا مما فيه على الأقل"[7].

وذلك لأن الرواية تختص بإعطاء الصور الاجتماعية الواقعية لجمهور القراء وإبداءه لهم في أحسن صورة. فالرواية تعد تفسيرا للحياة الإنسانية وتصوير للمجتمع بما فيه من خير وشر. ومشاكل اجتماعية ومختلف العلاقات المتشابكة داخله وتبرز لنا مختلف النماذج البشرية، فغالبا ما يكون الهدف منها الإصلاحي وتقديم العلاج وتهذيب الأنفس وذلك للتغلب على مختلف المشاكل الاجتماعية " فهي ذلك الشكل الأدبي الذي يقوم مقام المرآة للمجتمع، مادتها الإنسان في المجتمع، أحداثها نتيجة صراع الفرد، مدفوعا برغباته ومثله، ضد الآخرين وينتج عن صراع الإنسان هذا للملائمة بينه وبين مجتمعه"[8].

فالرواية شكل أدبي متميز له ملامحه الخاصة وتقسيماته الواضحة إذ يتخذه بعض الأدباء وسيلة للتعبير عما يريدون الإفصاح عنه، وهي انطباع شخصي مباشر عن الحياة تستعير معيارها من بنية المجتمع. فهي عبارة عن شكل أدبي سردي يحكيه راو ليبرز فيها ما دار من انشغالات في مجتمع معين وهي تتميز بكثرة الشخصيات، تكون ذات أهمية بالغة في إيصال الفكرة بامتياز ودقة.

---

[7] عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية، بحث في التقنيات السردية، (د ط)، مجلة عالم المعرفة، الكويت، 1998م، ص12.

[8] صابر عبد الدايم : فنون الأدب المعاصر بين النزعة الواقعية والتجربة التأملية، ص 256.

حيث تكون لغتها نثرية سردية ونجد أيضا عدة تعاريف للرواية باختلاف أنواعها كتعريف خريس سميحة التي قالت أنها "تلك الحياة التي نمددها على الورق عنوة تمتلك في تفاصيلها كل عبقرية الحياة الحقيقية، في لحظة الإبداع تتدفق بصورة طبيعية. ولا يستطيع الفنان أن يوقــف هذا القيض، أو يتلاعب في تفاصيله" [9]، فالرواية هي من أكبر الفنون الأدبية عمقا واتساعا لان معمارها يشمل لأساليب التعبير الشعرية والقصصية والدرامية و"هي فن أدبي مستقل، له خصوصيته، وذاتيته. إذ هو فن يتسع لدراسة العلاقات المتشابكة، والمتشابهة داخل المجتمع، فيقرر لنا النماذج البشرية، في شكل تقبله، إذا تمثلت فيه ملامح الخير والبطولة والدعوة إلى الإصلاح، وشكل نحاول أن نتجنبه، إذا بدا وكأنه رمز للتخلف والفساد، والدعوة إلى الرذيلة، على ذلك فالفن الروائي يجنح غالبا إلى التهذيب، والإصلاح، ويقدم العلاج الأمثل"[10].

ومن خلال هذه التعاريف الاصطلاحية للرواية نستشف أن الرواية فن أدبي له شكل مغاير للأشكال الأدبية، كذلك نجد الصلة وثيقة بينه وبين المجتمع، هذه الصلة تبدوا واضحة في النماذج والأشخاص، التي تحرك الأحداث، وتقودها إلى الأمام ويكون بذلك مرآة للمجتمع، يهتم بصراع الفرد والجماعات ويكشف الأنماط الوجدانية المختلفة الكامنة داخل الشخصية.

2. تعريف البيئة :

أ. لغــة : ورد في لسان العرب لابن منظور تعريف البيئة وهي « البيئة والمباءة والباءة هي المنزل فنقول بوأناهم مبوأ صدق أي بوأناهم مسكن صدق، وفي قوله تعالى « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ »، جعل الإيمان محلا لهم على المثل، وقد يكون أراد :

---

[9] إبراهيم أحمد ملحم : في تشكل الخطاب الروائي– سميحة خرسيس: الرؤية والفن ، ط1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الأردن، 2010م ، ص28.

[10] نادر أحمد عبد الخالق: الرواية الجديدة–بحوث ودراسات تطبيقية، ط1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2009م، ص22.

ولتبوأو مكان الإيمان وبل الإيمان »[11]، وورد أيضا في معجم الصحاح للجوهري عن البيئة إذ « يقال دم فلان بواء لدم فلان إذا كان كفوءا له لقول الشاعر:

فإن تكن القتلى بوء فإنكم **** فتى ما قتلتم، آل عوف بن عامر

وأبأت القاتل بالقتيل وستبأته إذا قتلته به وسمي النكاح باءة وباء لأن الرجل يتبوأ من أهله أي سيتمكن منها كما يتبوأ من داره[12].

كذلك نجد في القرآن الكريم في قوله تعالى : « وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ » يونس الآية 93.

فبوأناهم بمعنى أسكناهم كذلك نجد في قوله تعالى : « وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » الأعراف الآية 74.

ب. اصطلاحا : أثيرت تساؤلات كثيرة حول ماهية البيئة، والمفاهيم التي يختص بها هذا المصطلح "البيئة" حيث تطرق لمفهومها بعض الأدباء والمفكرين إذ نجد حنا الفاخوري يعرفها بأنها "كل ما يحيط بالأديب من أحداث وأحوال وملابسات، هي الزمان والمكان والأرض والسماء، هي الناس في مجتمعاتهم وثقافتهم وسياستهم وكل ما يتعلق بهم"[13].

فالبيئة هي كل ما يحيط بالفرد من مختلف الجوانب في الحياة، أحداثا كانت، أحوالا أو ملابسات، وهي أيضا جل الأزمنة والأمكنة وكل ما يتعلق بالفرد في حياته

---

[11] ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص59.

[12] إسماعيل بن حماد الجوهري : الصحاح تابع اللغة وصحاح العربية،ج6، ص59.

[13] حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم،(د ط)، دار الجيل، بيروت لبنان، 2005م، ص25.

ومجتمعه الذي يحيا فيه، "وهي التي يلازمها الإنسان في حله وترحاله، ويحيا مع صورها وما حوت من ألوان مختلفة فتنعكس على طبيعة الإنسان بما تحويه من حرارة وبرودة وخصب وجدب، ورقة وغلظة، وسكينة وجلبة" [14]، والبيئة تختلف باختلاف الأزمنة والمجتمعات وباختلاف لوازم واحتياجات الفرد في كل مجتمع من المجتمعات كمثال على ذلك، الإنسان العربي القديم تجده يعتمد في حياته اليومية في الصحراء على الجمل والفرس والجياد كذلك نجده يعتمد على الجلود والصخور ومختلف الأشياء البدائية التي تميز بيئته وطبيعتها البدوية القديمة، كما نجد في مجتمعات متقدمة أو متحضرة البيئة التي يعيش فيها الفرد تختلف وتبعد عن حياة العربي القديم في الصحراء كل البعد وكل الاختلاف فبيئته لها مميزات مختلفة وتعتبر أكثر تقدما لأن وسائلها مختلفة ومتطورة لأكثر من وسائل ذلك الإنسان الصحراوي البدوي.

3. تعريف المجتمع :

أ. لغـــة :

ورد في لسان العرب لابن منظور عن المجتمع "بضم الميم وكسرها على الرجل الذي بلغ أشده والشاب الذي بلغ ريعان شبابه ولا يقال دلك للنساء، إذ يقال اجتمع الرجل: استوت لحيته، وبلغ غاية شبابه ولا يقال دلك للجارية ويقال للرجل إذا اتصلت لحيته مجتمع ثم كهل بعد دلك [15]، كما ورد أيضا في نفس المعجم، من تعريف للبيئة إذ " يقال لرجل جميع أي مجتمع الخلق في صفته صلى الله عليه وسلم، كان إذا مشي مشى مجتمعا أي شديد الحركة، قوي الأعضاء غير مسترخ في المشي، وكما

---

[14] محمد رزق حامد: الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، ط1، دار العلم والإيمان، مصر، 2010م، ص46.

[15] ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص331.

يقال تقييض الكف جمع الكف، أي حين تقييضه، ويقال ضربوه بإجماعهم أي ضربوه بأيديهم "[16].

ولم يكن ابن منظور الوحيد الذي تناول مفهوم البيئة حيث وردت في عد معاجم وقواميس لغوية أخرى عدة تعاريف لها، ومن هذه المعاجم الصحاح لابن حماد الجوهري إذ يقول :"وتجمع القوم أي اجتمعوا، والجمع هو مصدر القول جمعت الشيء، فيقال جمعت الشيء المتفرق فاجتمع، كما نعني بقولنا أخذ فلان يجمع ثيابه أي لم يقتضها. وماتت فلانة بجمع وجمع، أي ماتت وولدها في بطنها " [17]، هنا في تعريف الجوهري أعطى مفهوما للمجتمع بجمع المتفرق وكذلك في قوله بجمع أي المرأة الحامل وهنا تبرز لنا عدة مفاهيم وتعاريف لمصطلح البيئة في الجانب اللغوي ومنه يمكننا التطرق إلى الجانب الاصطلاحي.

ب. اصطلاحا :

نظر كل من الفلاسفة والمفكرين القدامى إلى كلمة المجتمع على أنها مرادفة لكلمة الإنسانية أو النوع الإنساني ولكن هناك فريق من العلماء يرى أن كلمة المجتمع لابد أن تقتصر على المجموعة التي تجمع بينها وحدة ثقافية، كما تطلق كلمة "مجتمع" على أي مجموعة من الناس تربط بينهم مصالح دائمة فالأسرة مجتمع والعشيرة مجتمع، والقرية مجتمع والطائفة المهنية مجتمع وكذلك الطائفة الدينية مجتمع، وقد ورد تعريف المجتمع على انه "أي جماعة من الأفراد تجمعهم روابط نفسية، ومعنى

[16] ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص331.

[17] إسماعيل بن حماد الجوهري : الصحاح تابع اللغة وصحاح العربية، ج4، ص388.

الصلات والروابط النفسية والعلاقات المتبادلة التي يتم عن طريقها تبادل المنفعة والوحدة في المزاج والعقلية والتطلع نحو أمال مشتركة"[18].

فالمجتمع هو جامع لمختلف الطوائف البشرية، تجمع بينهم مواقف وعادات وتقاليد وأعراف ويكونون فيما بينهم قواعد مشتركة ومعايير مميزة للسلوك، وهنا نجد الدكتور علي عبد الرزاق جبلي يقول أنه" إذا كان بالإمكان تحديد المجتمع "بكلمة واحدة فهي بكل تأكيد كلمة النظام، وهي كلمة مجردة تستند في أساسها إلى حقائق الملاحظة والموقف.

إن كشف الدراسات الأمبريقية للجماعات الصغيرة عن نتيجة جوهرية تتعلق بطبيعة المجتمع، تتمثل في القول بأن معنى النظام والتنظيم يعتبر نتاجا طبيعيا لأي موقف تعيش فيه الكائنات الإنسانية وتعمل معا لفترة معينة من الزمن" [19]، ويمكن تفسير هذه النتيجة بطرق متباينة، إذ لوحظ مثلا أنه حينما يتفاعل عدد من الأفراد معا في فصل دراسي أي في مصنع أو أي موقف طبيعي أو تجريبي آخر فإنهم يميلون في العادة إلى تكوين قواعد مشتركة ومعايير للسلوك. وإذا كان الأشخاص المكونين لهذا الموقف أعضاء في أي مجتمع، الجزائري والفرنسي مثلا، فعادة ما ينقلون إلى الموقف معايير السلوك الخاص بهم، بمعنى أنهم يتصرفون مثل ما يتصرف الجزائري أو الفرنسي فهذه الجماعات البرية منظمة وتؤلف وحدة اجتمعي بكل ما للكلمة من معنى من ناحية التنظيم والوظيفة، حيث نجد هذه المجتمعات عبارة عن "مجموعات موحدة يحس أفرادها سواء في علاقاتها الداخلية والخارجية بشعور الانتماء فيتخذون لأنفسهم مكانا أو موطنا يعتبرون نظائرهم رفاقا لهم في نفس المجموعة، ويثورون ضد الدخلاء

---

[18] محمد بدوي : المجتمع والمشكلات الاجتماعية، (د ط)، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، مصر(د.ت)، ص48.

[19] علي عبد الرزاق جبلي : دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، (د ط)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1984م، ص11.

والغرباء، ويتوقف العضوية في مثل هذه المجموعات على موافقة أعضائها، التي تتم بمجرد أن يولد الفرد في المجموعة وينشأ في ظلها"[20].

ومنه فالمجتمعات المختلفة باختلاف الأوطان والبلدان تتصف بتحديد مكان الجماعة وبالتمايز الداخلي على أساس العمر أو الحجم أو بعض الصفات الأخرى وبمظهر التعاون في الجماعة، وبتحديد عضوية أعضائها، وبسرعة أن المجتمع يتكون من شبكة معقدة التفاعلات والعلاقات وأنه يصعب إدراك هذه الصورة في جملتها إلا أن هذه مهمة سهلة، ذلك لأنه يمكن التغلب على هذه الصعوبة أو على الأقل الإنقاص من شأنها إذا بدأ الباحث واختار أو ركز على عدد محدود من الموضوعات الإستراتيجية في هذه الشبكة المعقدة من التفاعلات، ذلك لأن دراسة مثل هذه الموضوعات تساعد على فهم الكثير فيما يتعلق بتنظيم المجتمع والحياة الاجتماعية أمر ضروري للفرد لا يمكن الاستغناء عنه ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم "الإنسان مدني بالطبع" حيث نجد ابن خلدون وهو من أكبر علماء الاجتماع يقول في مقدمته " أن الاجتماع الإنساني ضروري، أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية، وهو معنى العمران، وبيانه أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركب على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء وهداه إلى التماسه بفطره وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، غير موفيه له بمادة حياته منه " [21]، فهو يرى أن المجتمع هو العمران الذي يجتمع فيه الآخرين التي تربط بينهم روابط مختلفة وتؤكد على ضرورة الاجتماع إذ أعطى مثالا على ذلك بالقوت الذي لا يحصل إلا بكثير من الطحن والعجن والطبخ كما يحتاج إلى

---

[20] علي عبد الرزاق جبلي : دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، (د ط)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1984م، ص11.

[21] عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، (ت ح) علي عبد الواحد وافي، ج1، ط4، شركة نهضة مصر للطباعة والتوزيع، القاهرة، 2006م، ص 340.

الكثير من الآلات التي تعينه التي هي من صنع النجار والحداد وغيرهم، إضافة إلى أعمال أخرى من الزراعة والحصاد والدارس، فلابد في ذلك كله من التعاون عليه، وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوة ولا عداء ولا تتم حياته، لأن الله سبحانه وتعالى ركب الإنسان على الحاجة إلى العناء في حياته.

II. علاقة البيئة بالأدب :

إن البيئة وكل ما يحيط بالأديب من أرض وسماء وأناس من ثقافة وسياسة تأثر بشكل كبير فيه، حيث ينتج أدبا له علاقة وطيدة ببيئته، إذ يقال "الأدب ابن بيئته" فالبيئة لها أثر في الأديب وأدبه، في مادة صورة وانطلاق آفاقه، في توجيه فكرة وتعبئة آراءه، في اذكاء قريحته، وإيقاظ شعوره، في تليين عبارته أو تخشينها، في التصريح أو التلميح، في الإجمال أو التفصيل" [22]، فمثلا الجزيرة العربية قديما كانت صحراء شاسعة وكان العربي دائم الترحال بحثا عن الكلأ والماء لذا امتازت طبائعهم بالوعورة والخشونة والقساوة كقساوة الطبيعة، فكل هذا انعكس على أدبهم وفكرهم، فنجد في شعر عنترة وزهير وامرؤ القيس يصفون النياق والجياد والفرس وما ذلك إلا أثر من آثار البيئة التي عاشوا بين أحضانها وتعاملوا معها.

وهؤلاء بدورهم يختلفون عن أولئك الذين يعيشون في بيئة متحضرة فنجدهم في حالة أكثر هدوءا واتزانا ورقة ونعومة فكل هذه الآثار تنعكس على الأدب فتتوفر فيه عذوبة الألفاظ ورقة الخيال وسهولة الأسلوب وبعده عن الخشونة والوعورة والمعاني الوحشية والخيال المحدود الذي يتميز به الإنسان في البادية والصحاري.

فالأديب يعبر عن بيئته بقرائنه الخاصة وينسجها بخياله معتمدا على تجاربه في الحياة التي عاشها وتأثر بظواهرها المختلفة. "فقد كان القوم يختلفون وتتباين أحوالهم،

[22] حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم ، ص25.

فيرق أحدهم ويصلب شعر الأخر، ويسهل لفظ الآخر ويتوعد منطق غيره وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلقة، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلق.

وأنت تجد ذلك ظاهرا في أهل عصرك وأبناء زمانك وترى الجافي والجلف منهم كز الألفاظ معقد الكلام وعر الخطاب حتى أنك ربما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته وفي جرسه ولهجته ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك، ولأجله قال صلى الله عليه وسلم: " من بدا جفا " ولذلك تجد شعر عدي بن زيد وهو جاهلي أسلم من شعر الفرزدق، ورجز رؤبه وهما أهلان لملازمة عدي الحاضرة وايطانه الريف وبعده عن حلافة البدو وجفاء الأعراب"[23]، فالبيئة بكل أنواعها تأثر على الأديب فمثلا البيئة الطبيعية هي عامـــل مؤثـــر في العواطف والأحاسيس اتجاه موقف معين كالمناظر الطبيعية بحيث يمزج بين الطبيعة والشخصية وهناك من يتقيد بالبيئة التاريخية فيصور فترة من فترات التاريخ بحيث يكون تصويرا صادقا لتلك البيئة وهناك من يقتصر على البيئة الخاصة التي يعيش فيها، البحرية والجندية والتجارية، ومنهم من لم يقتصر على ذلك إذ نجد كاميرا "محمد جبريل" القصصية تحرص على رصد ملامح البيئة المصرية بكل ما تحمل من سمات ومشاهد ولم تقتص على وصف شريحة معينة من الحياة الاجتماعية.

[23] محمد رزق حامد : الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، ص48.

III. العلاقة بين الأدب والمجتمع :

ارتبط الفن منذ القديم بالحياة الاجتماعية وظل لصيقا بمفهوم الإنسان ومشكلاته الواقعية والوجودية، فكل أنواع الأدب ما هي إلا تعبير عن الحياة الاجتماعية : " فقد عبرت الأسطورة والملحمة والشعر والغناء عن الشروط الاجتماعية والتاريخية للإنسان ومهما أغرقت الفنون في المثالية وخلقت بعدا عن الواقع فإنها تنتهي دائما إلى معارف الجنس البشري بكل تناقضاته"[24].

فعند دراستنا لعلاقة الأدب بالمجتمع فإننا ندرس موقف الأديب منه وأثر هذا الأدب فيه إضافة إلى المهارات الخاصة بالأديب، بحيث أننا نستهل دراستنا بالعلاقة بين الأدب والمجتمع وذلك من خلال طريقة الأديب الخاصة في استخدام اللغة وطريقة استخدامها في المجتمع " فهناك تبادلا في التأثير والتأثر بين الأديب ومجتمعه في استخدام اللغة فإذا ما توسعنا قليلا قلنا أن هناك توسع معقول ومشروع لما بين اللغة والأدب من علاقة وقلنا أن هناك تبادلا في التأثير والتأثر بين الأديب ومجتمعه في إنتاجه الأدبي"[25]، فالأديب يتأثر بالخارجية للبيئة التي يعيش فيها داخل مجتمعه بحيث يستمد أدبه منها، أما العبارة التي تقول " أن الأدب هو تعبير عن المجتمع"، " إذا كانت تعني أن الأدب – في أي زمان وأي مكان من الأزمان مرآة تنقل أحوال المجتمع نقلا صادق فإنها تكون باطلة أنها حقيقة عادية وقديمة مبهمة إذ كانت تعني فقط أن الأديب يصور بعض مظاهر الواقع الاجتماعي وحتى القول أن الأديب مرآة تنقل الحياة أو تعبر عنها قول أكثر غموضا، إن الكاتب لا يملك إلا أن يعبر عن تجربته وفهمه العام للحياة "[26] فالأدب يصور لنا ما يفهمه الأديب من مجتمعه، كما يؤثر هذا الأخير فيه

---

[24] عبد الوهاب شعلان : المنهج الاجتماعي وتحولاته من سلطة الايدولوجيا إلى فضاء النص، ط1، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن،2008م، ص1.

[25] حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب، ص27.

[26] المرجع نفسه، ص 27.

بحيث ينقل حياة هذا المجتمع، ويكون المرآة التي تعكسها لكي يتلقاها من يعيش فيه، إذ أن الأديب يتخذ لنفسه موقف فكري من مجتمعه وهنا يكون التأثير، ما أن هناك عوامل داخل المجتمع تؤثر في إنتاج الأديب تأثيرا واضحا، ولكن لا يكون قويا ذا أثر بعيد في العمل الأدبي الأصيل، فالأديب العظيم يؤثر في مجتمعه ويكسب لرضاه دون أن يخضع لإرادة هذا المجتمع بحيث يتأثر به ويحاول أن يؤثر فيه.

إن اثر الأدب في المجتمع يتمثل في أنه يقدم له قيما جديدة تساعده على التعبير، وذلك من خلال عملية التطهير التي نجدها عند أرسطو، من خلال ما تحققه المأساة عبر عنصري الفعل والتطهير،حين تحرك المأساة نفسية المتلقي، وعيا بالأثر الذي يحدثه هذا الفعل من خلال استجابة القارئ له، فالجمهور هو مرآة تعكس قوة النصوص، لذا ألح أرسطو على التأثير في المآسي لأنها تثير الخوف والشفقة لدى مشاهديها.

وهناك خلاف كبير بين نظريتين كبيرتين حول طبيعة العلاقة بين الأدب والمجتمع "نظرية الانعكاس التي ترى في الأدب انعكاسا للمجتمع (أيا كان مفهوم المجتمع) يتأثر و يؤثر فيه، ونظرية أخرى حديثة يمكن أن نسميها نظرية الكمون التي ترى أن العلاقة بين الأدب والمجتمع ليست فقط على مستوى الوظيفة التي يقوم بها الأديب، وإنما أساسا على مستوى الماهية أي أن الأدب ليس جزءا أو كيانا مستقلا عن المجتمع كما يبدوا في النظرية السابقة ولكن المجتمع كامن في داخل النص الأدبي وخاصة في تشكيله قبل محتواه "[27].

فالنص ما هو إلا تعبير عن الواقع الذي يصور لنا بواسطة اللغة بوصفها نسقا من اللغة، فمن خلال الأدب نطل على العلم، ويلتقط القارئ هذا العالم بواسطة اللغة أيضا، فان الذي يخلق النص هي تلك العلاقة الجدلية بين النص والقارئ. إذ تجد ذلك

[27] سيد البحراوي : علم اجتماع الأدب، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، مصر، 1993م، ص1.

مع مدام دي ستايل في كتابه " الأدب في علاقته بالمؤسسات الاجتماعية " تناول مدى تأثير الدين والعادات والتقاليد ففي دراستها وتفسيرها للرواية نرى " الرواية كجنس أو نوع أدبي يمكن أن يتصور فقط في المجتمعات التي يكون للمرأة فيها مكانة مرموقة محترمة من جانب الأفراد والجماعات التي يكون فيها الاحترام للحياة الخاصة للناس وما تتضمنه من علاقات اجتماعية وعاطفية "[28].

إذ أعطت مثالا على ذلك بالايطاليين الذين يكتبون الروايات لانعدام الاحترام للنساء فيها، وبذلك نفهم أن العلاقة جد وطيدة بين الأدب والمجتمع، وأنه لا يمكن إنكار العلاقة التي بينهما. كما نجد أيضا غولدمان يقرأ النصوص الروائية وفق رحلتين : "مرحلة الفهم حيث يتم إدراك لبنية العلاقة الداخلية للنص ثم مرحلة التفسير التي يربط فيها بين هذه البنية المحايثة وبنية الواقع الاجتماعي والثقافي السائد، انطلاقا من مبدأ أن الأديب لا يعبر عن ذاته وإنما يعبر عن رؤيا للعالم، تتشكل من خلال التحامه بالزمرة الاجتماعية التي ينتمي إليها "[29].

أما في دراستنا للمهارات الخاصة بالأديب واستقلاله عن المجتمع أي نظرية العبقرية والإلهام التي هي " قوة خفية داخل الإنسان مستقلة عن مجهوداته، فإذا قلنا أن العبقرية مبدعة أسقطنا اثر البيئة والمجتمع في إنتاج الفنان أو الأديب"[30].

فماذا تقول عن الإنسان عندما يؤلف عملا فنيا في صغره كالموسيقى مثلا، لا يمكن أن نقول أنه اتخذ موقف فكريا من مجتمعه أو أنه كان متأثر بهذا الموقف، فلا يمكن أن ننفي أن الأديب له عبقريته الخاصة المبدعة، بحيث تظهر هذه العبقرية من

---

[28] عبد الوهاب شعلان :المنهج الاجتماعي وتحولاته، ص27.

[29] المرجع نفسه، ص2.

[30] حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص29.

خلال الأثر الذي يحدثه في المجموعة ومن خلال أعماله التي ينتجها في إخراجها للعالم والواقع المعاش.

IV. ظهور الواقعية :

ظهرت الواقعية كمذهب في القرن التاسع عشر وكان ذلك في فرنسا كرد فعل على الرومنتيكية التي ولعت بالطبيعة وعرفت بالأحلام، حيث كان الإسراف في التعبير والتحليق في الخيال بعيدا عن الواقع، بينما كان العلم يعتمد على التجربة والتحليل والتطبيق ويسعى إلى التوصل إلى الحقائق والنتائج العلمية إذ توصل إلى الكثير من الاكتشافات، فكان هناك تباعد بين العلم والأدب، فالعلم يعيش على أرض الواقع متخذا إياه منهجا له ولهذا رفض الرومنتيكية وحاول أن يغير الحياة وتفكير الناس ونظرتهم إليها، ومن خلال هذا القرن وجد المفكرون أنفسهم أمام هذا الواقع، فتنقلوا من الخيال إلى الواقع المعاش الحقيقي فظهرت الواقعية أو المذهب الواقعي الذي يؤمن بالعلم المؤسس على حقائق وتطبيقات على تجارب الإنسان الاجتماعية، وتسجيل الملاحظات دون الخروج عن ما هو معاش وعدم تزيين الحقائق وتلوينها بتعبير الأديب عن أحاسيسه ومشاعره، فقد ركزت الواقعية كمذهب على وصف المجتمع على حقيقته بأمانة وصدق، وأكدت على ذاتية الفرد وعبقريته المبدعة في شتى المجالات ومدى استيعابه للتقدم العلمي في حل مشكلات عصره وذلك بالاعتماد على منهجية علمية " إذ نادت الواقعية بأن تكون الكتابة لها على نسق الكتابة العلمية مجردة من الطابع الشخصي، لتكون ملامسة للحقيقة والواقع، لي سفيها أحلام أو خيالات الأفراد، وليس من الواقع أن نسقط الأخيلة والأحلام من حسابنا، لان الواقع الذي يراه بكلتا عينيه

المفتوحتين أن الناس يحملون ويتخيلون، فملاحظة الواقع وتسجيله بكل دقة هو الهدف الأسمى للواقعية "[31].

فليست مهمة الكاتب الواقعي تصوير الواقع فقط، بل إن مهمته الحقيقة هي مساعدة العقل على ابتكار وإبعاده عن تفسير الواقع بالعاطفة، فلابد عليه أن لا يقتصر فقط على التحليل بل لابد أن تكون له القدرة على جذب القارئ والتأثير فيه، غير أن كثيرا من الأدباء والمفكرين لم يقفوا على مفهوم واحد للأدب الواقعي "فهناك من يعرفه عل أنه الأدب الذي يقوم عل ملاحظة الواقع وتسجيله، لا على الخيال وصوره وكأنهم بذلك لا يفرقون بين هذا اللون، الأدب والأدب الرومنسي، وهناك من يعرفه على أنه الأدب الذي يستقي مادته وموضوعاته من حياة عامة الشعب ومشكلته، وذلك في معارضة الأدب الذي يقوم على أرستقراطية الفكر والخيال ولا ينفعل بواقع الناس على اختلاف طبقاتهم وهناك كذلك من يعرف على أنه الواقع الاشتراكي الذي يتناول مشكلات المجتمع ومظاهر البؤس والحرمان"[32].

إذا كانت الرومنسية قد اتخذت من الشعر أداة للتعبير عنها فالواقعية قد اتخذت النثر أداتها، إذ كتبت القصص والمسرحيات فأصبحت القصص تستقي بموضوعاتها من البيئة والظروف الاجتماعية، كما تأخذ شخصياتها من الواقع وبدأت القصة تعالج مشكلات البيئة والعصر وقد تأثر الأدب العربي بما انتهجه أعلام الواقعية فكان التأثر باتجاهات الواقعية والفلسفية للقصص العالمية، وخير مثال على ذلك قصة "الأرض" لعبد الرحمان الشرقاوي وقد تأثر نجيب محفوظ "ببلزاك " و"أيميل زولا" في كتابه "قصة الأجيال المتعاقبة " وبعد هذا تأثر بالواقعية الأوروبية، والواقعية الطبيعية، وقد كتب نجيب محفوظ مدفوعا بهذا التأثر قصة "خان الخليلي" وقصة "زقاق المدق " ثم

---

[31] عبد الرحمان عبد الحميد علي : النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، (د ط)، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2005م، ص 176.175

[32] صابر عبد الدايم : فنون الأدب المعاصر بين النزعة الواقعية والتجربة التأملية، ص108.

تلاية "بين القصور" و"قصر الشرق" و"السكرية" كما ترجمت إلى العربية الكثير من القصص الواقعية ولعل أهمها قصة توماس هاري المعروفة بي "مس سليلة دبر فليد" إذ ترجمها فخري أبو سعود ونشرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر، وربما كان هناك أسباب وراء هذا التوجه للواقعية ورفض الرومنتيكية وما تنادي به من مخالفة للواقع والحياة فالكثير من النقاد الغربيين أرجعوا نشأة ذلك المذهب إلى الأسباب التالية" اهتمام حكومة نابليون الثالث بالنظام والعناية بالمجتمع، وسيادة الروح العملي بعد نجاح البرجوازية في الوصول إلى اقرب طريق إلى النتائج التي تنشرها، إضافة إلى الرغبة في التخلص من أخلاق الرومانسية التي لم تعد تلاءم العصر، وتطور روح النقد في مجال البحوث التاريخية والعلمية واتجاهه إلى تحري الحقيقة على أساس علمي، لاسيما بعد أن ظهرت خطوة التكهنات والأفكار المطلقة " [33]، لكن هذا الأدب الواقعي أسرف في واقعيته فأصبح رسما جامدا للشخصيات والمرئيات وتسجيلا مجردا من ظروف المجتمع والحياة، فبعد أن أدرك قادة الفكر ذلك، أخذ هذا المذهب الواقعي في التدهور لعجزه عن تلبية مطالب الإنسان العقلية، فتطلع الفكر البشري إلى مذهب جديد وهو المذهب الرمزي(*).

[33] عبد الرحمان عبد الحميد علي : النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، ص176.

(*) المذهب الرمزي ظهر كرد فعل للبرناسية، فالرمزيون يلجأون إلى الصور الشعرية فيضفون عليها كثيرا من خيالهم الغامض البعيد، ويؤمنون بالألفاظ الموحية التي تعبر عن أجواء نفسية رحيبة، كلفظ الغروب الذي يوحي موقعه مثلا بمصرع الشمس الدامي والألوان القاربة التي تدل على الإحساس بالانقباض وجودها يتمثل في الإيمان بعالم من الجمال المثالي وفي الاعتقاد بان هذا العالم يتيسر الوصول إليه عن طريق الفن.

الفصل الثاني

الرواية والمجتمع المصري

I. نشأة الرواية العربية.

II. أنواع الروايات العربية:

III. أهم روادها العرب.

IV. الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المصرية قبل وأثناء القرن العشرين

V. البيئة الاجتماعية المصرية في عصر نجيب محفوظ

I. نشأة الرواية العربية :

لم يتقبل الناس الرواية عند ظهورها فرفضها البعض من منظور ديني ظنا منهم أن ما فيها من خيال وعاطفة يخالف الشريعة الإسلامية. والرواية هي " فن حديث انظم إلى فنون الأدب العربي مع بداية الاتصال بالحضارة الأوروبية. وانتقل إليها على أيدي طلائع المثقفين العرب الذين تعرفوا على القواعد الأوروبية والرواية الأوروبية الحديثة ونقلوا إلى العربية بعضا من رواياتهم"[34].

ولكن من الإجحاف نكـــران التراث العربي القديم ذاته إذ هناك وجود لبعض الإرهاصات السردية أو ما يسمـــى بالأشكال ما قبـــل الروائية في تراثنا العربي "كالمقامات والتراجم والأخبار ومن التعسف القول أن الرواية العربية ولدت في القرن العشرين أو القرن التاسع عشر من لا شيء إذ أنها نشأت في تربة غنية بتقاليد عريقة في القص" [35].

ومنه فان فن الرواية كان موجودا من قبل ولكن ليس ذلك الكمال الذي شهده بعد اتصال العرب بالحضارة الغربية والأخذ منها. حيث تم التأريخ لظهور الرواية عند العرب على ابعد تقدير في الربع الثلث من القرن وذلك بعد البعثات الطلابية إلى الغرب واطلاع الطلاب والروائيين على الفنون الغربية، وقد اختلف آراء المؤرخين حول بدايات الرواية العربية فهناك من يرجع بدايتها لرفاعة الطهطاوي الذي " يتصدر المقدمة وذلك بترجمة وقائع تلماك بعنوان وقائع الإخلال في أخبار تيليماك"[36].

---

[34] أحمد عطية : الرواية السياسية، دراسة نقدية في الرواية السياسية، (د ط)، مكتبة مدبولولي، القاهرة، (د ت)، ص8.

[35] فضيلة فاطمة دروش، سوسيولوجيا الأدب والرواية، ص115.

[36] عماد علي الخطيب، في الأدب الحديث ونقده، ص115.

وهي أول رواية تعليمية فتحت أعين العرب وخاصة المصرين وفي كتابه "تخليص الإبريز في تخليص باريز" تحدث عن النظم المعمول بها في أوروبا ودعا إلى التخلص من الجهد والسبر على خطى العرب في علومه وفنونه التي بلغت درجة عالية من الرقي والكمال فرفاعة الطهطاوي كان متأثرا كل التأثر بالمذاهب الغربية وحضارتها وبعد نشر رواية الطهطاوي ظهرت رواية أخرى هي "علم الدين" لعلي مبارك وهي تعد ثاني رواية تعليمية بعد" التخليص" وهي تطرح موضوع اللقاء بين المجتمع العربي والحضارة الأوروبية وهناك من يقول أن علي مبارك أول روائي مصري وكتابه "علم الدين" هو أول رواية مصرية.

كذلك نجد فرح أنطوان من كبار المتأثرين بالمذاهب العربية وهو مسيحي من الشام، وكان ينقل في مجلة الجامعة مذاهب ومعتقدات الحضارة الغربية وأفكارها والإصلاح الاجتماعي ويناقش الأفكار الرأسمالية والشيوعية في وقت مبكر من نشوء الرأسمالية المصرية.

ومع ظهور الرواية التعليمية في مصر، ظهرت أيضا في العراق رواية تعليمية سنة 1919 وهي" الرواية الايقاضية " لسليمان فيضي وهذه الرواية هي الأخرى دعت إلى تعلم العلوم الغربية وكذلك الإصلاح الاجتماعي، وأيضا رواية "جلال خال" لمحمود السيد والتي تعد أول رواية تحليلية فنية في العراق ومع اختلاف الآراء حول البدايات الأولى لفن الراوية، يؤكد الدكتور "جابر عصفور " أن تجربة الشدياق في كتابه "الساق على الساق " يعد بداية الابتداء السردي الذي أصبح رواية وأن الكاتب في كتابه خالف تقاليد العصر التركي والمملوكي التي سادت والتي طرزت بالحواشي والزخارف والمحسنات التي أثقلت الأسلوب السردي وأخرجته عن أهدافه بكل المقاييس. وكتاب الشدياق صدر عام(1855) أي قبل رواية "زينب" لهيكل بكثير وقد عمق اتجاه الشدياق

الأســـتاذ جورجي زيدان" [37] الذي طـــور الرواية وألقى عليها الكثير من السهولة والسلاسة وخلو الأسلوب من المعاضلة والغريب وكذلك نجد أن هناك من يقول إن البداية الرسمية كانت مع الطليعة الأولى برواية "زينب" لمحمد هيكل بعد محاولات تمهيدية سبقتها، حيث تعتبر كل تلك الروايات التي صدرت قبل زينب عبارة عن إرهاصات أو محاولات تمهيدية ليس ألا حيث تعتبر هذه الرواية "التي نشرت سنة 1912 الميلاد الحقيقي للرواية المصرية في رأي الكثير من النقاد الباحثين، إذ انتقلت من طور الترفيه والتسلية أو التهذيب الخلقي إلى التعبير عن تجربة إنسانية مصرية حميمية ومن أسلوب المقامة الذي يعتمد على التأنق والصنعة إلى النثر العادي الذي يخوض التكلف ولا يغض من قيمتها ما أخذه النقاد عليها من عيوب فنية، لأن هذه العيوب تعد أمرا طبيعيا في باكورة أي فن"[38].

ويرجع الباحثون أسباب نضج هذه الرواية بالقياس إلى ما سبقها من أعمال روائية إلى الثقافة الأوروبية التي نهد منها هيكل أثناء إقامته بفرنسا والى اقترابه الشديد في الوقت نفسه من واقع الحياة المصرية وتعبيرا ينم عن إحساسه وتفاعله معها.فمحمد حسن هيكل تأثر بالحضارة الغربية ومذاهبها وأفكارها كتأثر كثير من الأدباء والرواة بهذه الحضارة الغربية ومذاهبها وأفكارها " فمثلا "زينب" أخذت فكرتها من "جاك روسو" في قصة جولي. وطه حسين الذي تأثر في كتبه بمنهج لانسون أما توفيق الحكيم فقد اظهر تأثره الواضح في العصفور من الشرق لأنه تكلم فيه عن خصائص السنفونيات عند بتهوفن وغيره وكل هذا من التأثير الغربي كما ذكرنا " [39] إذ لم توجد رواية بهذا المستوى أو قديما منه في السنوات التالية حتى ثورة يوليو 1919، حيث يربط الباحثون و الأدباء أنفسهم بظهور الفن الروائي في مصر باندلاع هذه الثورة وما

---

[37] عبد الرحمان عبد الحميد علي : النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، ص221.

[38] شفيع السيد، اتجاهات الرواية العربية، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م، ص 13.

[39] عبد الرحمان عبد الحميد علي : النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، ص222.

نجم عنها من انبعاث الشخصية المصرية وتبلور الوعي الوطني وتطلعه نحو المستقبل والتحرر سواء في السياسة أو الاقتصاد بزوال الاحتلال البريطاني أو في ميدان الفكر والأدب بخلق أدب قومي يستوعب تجربة الحياة المصرية العصرية.

وقد شهدت الحياة الأدبية في الفترة التي أعقبت ثورة 1919 وامتدت إلى قيام الحرب العالمية الثانية، ظهور عدد من الأعمال الروائية بعضها لكتاب يعدون في تأصيل الفن القصصي بعامة في مصر أمثال "محمود تيمور". و" طاهر لاشين" وبعضها الآخر لكتاب يعدون إعلاما في تاريخ الأدب العالمي الحديث أمثال " طه حسين" و"توفيق الحكيم "... وغيرهم.

وإذا صح القول بان الرواية المصرية اجتازت في المرحلة السابقة طور النمو فإنها " في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية قد ازدهرت واكتمل بناءها على أيدي طائفة من الكتاب تكاثرت أعمالهم وتنوعت في اتجاهات مختلفة وقد وقف كثير من هؤلاء الكتاب أصل هذه الفنون وزاد وعيهم بها واطلاعهم على نماذجهم الرائعة في الآداب العالمية فضلا على رحابة التجربة الإنسانية أمامهم بل إن بعضا من هؤلاء قد وهب من صفاء الحسن الروائي والكفاءة العالية في الخلق والإبداع "[40]، ما جعله يدفع بهذا الفن في الأدب العربي خطوات واسعة إلى الأمام ويبلغ به مستوى قد لا يقل عما بلغه في الآداب العالمية وأوضح مثال على ذلك هو الكاتب الروائي نجيب محفوظ "وهو الروائي العربي الذي أوصل الشكل الروائي إلى قمة بحثه الاجتماعي" [41] حيث كان نجيب محفوظ بالنسبة للروائيين الآخرين أغزرهم عطاء خاصة في مجال الرواية الاجتماعية بسبع روايات اجتماعية هي "القاهرة الجديدة"، "خان الخليلي"، " زقاق المدق" "وبداية ونهاية"، "ثم الثلاثية"، "بين القصرين"، "قصر الشوق"، "السكرية" وقد عني نجيب

---

[40] شفيع السيد :اتجاهات الرواية العربية، ص15.

[41] عبد الرحمان عبد الحميد علي : النقد الأدبي بين الحداثة و التقليد، ص222.

محفوظ بالطبقة الشعبية وصورها بمختلف مستوياتها كما أبدع أيضا في مختلف أنواع الروايات كالرواية التاريخية في "راد وبيس" وكفاح طيبة وروايات أخرى " ثرثرة فوق النيل"، "السمان والخريف"، "الشحاذ "و "الطريق" و"اللص والكلاب"...

II. أنـــواع الروايات العربية :

1. الرواية التاريخية :

هناك علاقة جدلية قامت بين التاريخ والأدب، فكل منهما يعتمد على الأخر ويؤثر فيه ويتأثر به، مثل الملاحم والأساطير التي عبرت عن العديد من الحوادث التاريخية فقد حملت الإبداعات البشرية قدرا كبيرا من التاريخ في طياتها، إن التاريخ شكل مصدر الهام بارز للأدباء والفنانين، فالإبداعات الأدبية بأشكالها وفنونها المختلفة هي من المصادر التاريخية المهمة التي لا يمكن للمؤرخ تجاهلها.

إن هناك ميلا في الرواية العربية نحو الماضي، وربما كان الدافع الذي دفع الروائيين صوب التاريخ هو امتلاك المادة التاريخية بين أيديهم، إضافة إلى ظروف المجتمع التي كانوا يعيشونها ما دعاهم إلى اختيار النماذج التاريخية فكانت بداية الرواية التاريخية في مصر مع جورجي زيدان في رواياته التاريخية "بحيث يمكن اعتبار ما صدر من روايات تاريخية بعد ذلك امتداد لهذا الذي بدأه زيدان، وان كان ثمة تفاوت في القيمة الفنية التي يمكن أن يراها الناقد في الرواية التاريخية عند جورجي زيدان وروائي هذه الفترة التي يتحدث عنها، والاختلاف في الدوافع التي دفعت كل منهما إلى كتابتها، فجورجي زيدان لم يكن مدفوع بدافع قومي وطني للالتفات الى التاريخ العربي الإسلامي" [42]، فقد كان هدف جورجي زيدان هو تعليم التاريخ بأسلوب جديد كما برز العديد من الكتاب الذين استخدموا التاريخ موضوعا

[42] شفيع السيد: اتجاهات الرواية العربية، ص20.

لرواياتهم منهم نجيب محفوظ في " كفاح طيبة" و فريد أبو حديد في " زنوبيا " وعلي احمد بكثير ومحمد سعيد العريان وغيرهم.

إن الرواية التاريخية هي الدعوة إلى الماضي من أجل التعبير عن واقع معلوماتي يريد الراوي أن يوصله الى القارئ وذلك باعتباره ذريعة يحتال بها على السلطات الحاكمة "ومن هنا فان الرواية التاريخية تكون في الكثير من الأحيان رواية رمزية" «أولاد حارتنا» أو تعبير عن معادل موضوعي لزمن القمع والإرهاب «الزينى بركات» أو تحاول بعث نموذج لمجد سابق «روايات جورجي زيدان» أو التعبير عنها حسب مرتبط بفكرة أو معنى " الحرب والسلام " و"مارس يحرق معداته"[43].

الرواية التاريخية لا تقدم التاريخ للقارئ وذلك لان الوثائق التاريخية هي التي تعنى بهذه المهمة "وفي معرض المقارنة بين الراوي المؤرخ يسود الاعتقاد بان الراوي يتناول الحدث والشخصيات من زاوية خاصة، تعبر عن موقفه الاجتماعي والفكري مستخدما وسائله وأدواته الفنية لتقديم رؤية من خلال الحوار و الرمز واللغة نفسه، لكي يتواصل مع الجماعة التي يوجه إليها خطابه"[44].

فالرواية التاريخية تكمن في مدى قدرة الكاتب على استغلال الحدث التاريخي لكي يعالج به قضية داخل مجتمعه. من خلال الفكرة التي يوصلها للقراء، بواسطة التلميحات والإحالات الذهنية التي يستطيع بها أن يربط القارئ بلب هذه الرواية " فثمة هدف لابد أن يكون واضحا بالنسبة له، إذ تحقق الكتابة الروائية التاريخية الغرض منها، بدون ذلك فان القارئ أو المتلقي قد يتوه في دهاليز التاريخ دون أن يرى أو يفهم

---

[43] نزيه أبو نضال : التحولات في الرواية العربية، ط1، المؤسسة العربية، لبنان، بيروت، 2006م، ص43.

[44] رزان محمود إبراهيم : الرواية التاريخية بين الحوارية والمنفولوجية، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008م، ص36.

شيئا. لا عن الماضي الذي يحوش من خلاله ولا عن الحاضر الذي نفترض أنه وهم الذي يعني الكاتب و القارئ معا بالدرجة الأولى"[45].

إن المجتمع يحتاج إلى الرواية التاريخية بشكل كبير فهي ممارسة اجتماعية وثقافية تشكل حاجزا تختفي وراءه أفكار يصعب التصريح عنها بشكل مباشر، وقد انصرف الروائيون المصريون إلى التاريخ في فترة الصراع الاستعماري البريطاني والقوى الوطنية، لذلك وجدت الرواية التاريخية استجابة واسعة لدى جمهور القراء.

2. الرواية الاجتماعية :

إن للرواية الاجتماعية خصوصية في الرواية العربية المعاصرة فهي تتميز عن الأنواع الأخرى بارتباطها بالواقع الاجتماعي بشكل أعمق وأوسع فيجسد الكاتب رؤيته العامة من خلال الكشف عن الواقع داخل قضايا المجتمع المتواجد في نسيج الحياة فهي تصور مشكلات الواقع وهمومه وما فيه من أزمات متعلقة بالظروف سواء اقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية، فما تعبر عنه الشخصيات من قضايا داخل الرواية ما هو إلا تصوير لمشكلات هذا الواقع وما فيه من عادات سلبية، يحاول الكاتب علاجها وتقديم الحلول لعلاجها فيقدم قضية من قضايا المجتمع كصراع الطبقة الفقيرة من اجل تحسين وضعيتها وظروفها ومستواها "فظاهرة الفقر هي من ابرز المشكلات الاجتماعية التي يواجهها الاتجاه الاجتماعي من ناحية التأثير فهو طريق إلى الجهد والتخلف والمرض"[46] والشخصيات داخل الرواية الاجتماعية مستقاة من واقع اجتماعي من خلال أفعالها وأقوالها وأنماط تفكيرها، فهي تعيش مع شخصيات أخرى تتفاعل معها إذ لا يمكن أن نجدها في الواقع الذي نحيا فيه بأسمائها وأفعالها التي قامت بها داخل النص الروائي.

---

[45] نزيه أبو نضال : التحولات في الرواية العربية، ص43.

[46] سحر سليمان الخليل : الأدب العربي الحديث، ط1، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، 2010م، ص132.

ويرمي الأديب من ورائها إلى تقديم رؤية للعالم الذي يعيش فيه من خلال خلق هذا العالم كما يتصوره أو يتخيله هو، أو كما يراه وفق موقفه منه كما يمكن أن تكون أهم أحداث هذه الرواية تمثل تجربة شخصية للمؤلف ويحكمها على الشخصيات داخل الرواية "فالشخصيات تعيش في بنية تقوم على أساس اجتماعي، فهي لها موقع اجتماعي محدد، ووفق هذا الموقع تتبنى هذا الموقف أو ذاك. ونلاحظ من خلال المتن تماثلا "بين بنية المجتمع الروائي وعلاقات الشخصيات ضمن هذا الفضاء"[47].

وللرواية مهمة كبيرة في توجيه المجتمع، إذ تركز على عدة أمور أهمها دراسة الإنسان وحياته من الناحية التهذيبية والتحري عن الحياة أو تصويرها بأمانة وإخلاص وجمع كمية كبيرة من الملاحظات والمستندات الإنسانية، فالرواية الاجتماعية عبارة عن ملف يطلع فيه على البيعة البشرية وخفاياها بقصد الإصلاح وعلى ذلك فان "نشأة الرواية لم تكن على سبيل التسلية والترفيه على قدر ما كانت الحياة والعصر في الحاجة إلى زرع لبنات الوعي، والتطلع إلى آفاق الحرية المطلقة.

وقد قامت الرواية على اختلاف اتجاهاتها الموضوعية بتحريك الضمير القومي وهي في سبيل ذلك قفزت على المستوى الفني إلى درجات مقبولة من الإشادة والتطوير"[48]. ومن ابرز الكتاب الذين كتبوا الرواية الاجتماعية في مصر نجيب محفوظ وعبد الرحمان الشرقاوي ويوسف إدريس، إذ تناولوا الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي سادت المجتمع المصري فاتخذوا من مشكلات المجتمع وقضاياه مادة لأعمالهم الروائية " نجيب محفوظ أغزرهم عطاء في هذا المجال، إذ نرى له سبع روايات هي : القاهرة الجديدة وخان الخليلي وزقاق المدق وبداية ونهاية ثم الثلاثية: بين القصرين وقصر الشرق والسكرية أما عبد الرحمان الشرقاوي فله ثلاث روايات

---

[47] سعيد يقطن : انفتاح النص الروائي، ص141.

[48] نادر احمد عبد الخالق : الرواية الجديدة، ص27.

وهي الأرض وقلوب خالية والفلاح، ويوسف إدريس له رواية واحدة وهي " الحرام"[49] وهم يدعون إلى إصلاح الفرد من خلال إصلاح المجتمع بتركيزهم على المفاسد وما جرته على الأمة من الخراب والدمار وذلك بالوعظ والإرشاد للتأثير في الناس.

3. رواية السيرة الذاتية :

لرواية السيرة الذاتية تعاريف متعددة وذلك لأنها جنس أدبي حديث إذ نجد أن الكثير من الباحثين يطلقون على هذا النوع من الرواية عدة تسميات منها رواية الترجمة الذاتية وهناك من يسميها رواية التجربة الذاتية، ورواية السيرة الذاتية هي الأكثر استعمالا وشيوعا وهي نوع نثري يتميز بالتسلسل في سرد الأحداث، حيث يتكفل فيه الراوي برواية أحداث حياته، فيركز فيها على المجال الذي تتميز فيه شخصيته سواء المجال السياسي أو الاجتماعي أو الفني وهذا ما يفسر اعتراف الكثير من الروائيين بان رواياتهم ولدت من رحم سيرتهم " وفي هذا النوع يتخذ الأديب من حياته، وما صادفه مادة أدبية يصيغها في قالب روائي معتمدا على العناصر الأساسية للفن الروائي ويكون فيها الفرق واضحا، بين الترجمة الذاتية والترجمة الشخصية، من حيث اختيار الأحداث اختيارا فنيا صالحا لتأليف الروائيين وعدم حشد تلك الأحداث كأنها تاريخ يدون، بل عرضها كعناصر روائية تنمو وتتطور، لكي تصل إلى نهاية معينة ولذلك يتدخل المؤلف في ترتيبها ترتيبا يحقق الفنية القصصية وعدم الاكتفاء بإيرادها حسب وقوعها الزمني[50].

وإذا كانت السيرة الذاتية خطابا واقعيا مفترضا فهي لم تعد نصا ذا مصداقية واقعية أو مطابقا للواقع، وإنما هي خطاب تخيلي، فهي لابد أن تتوفر على الاستعارة

---

[49] شفيع السيد : اتجاهات الرواية العربية في مصر، ص97.

[50] نادر أحمد عبد الخالق: الرواية الجديدة، ص20.

والتوهم والتخيل، فهي نوع روائي يستمد أحداثه من حياة الأديب ولكنه يمزج هذه الأحـــداث بوقائع وشخصيات خيالية ويمثل هذا النـــوع من الرواية: "إبراهيم الكاتب" للمازني، و"سارة " للعقاد، و"عصفور من الشـــرق" لتوفيـــق الحكيم، و"نداء المجهول" لمحمود تيمور.

4. الرواية الأسطورية :

إن الرواية الأسطورية هي الرواية التي يعتمد فيها الكاتب بشكل أساسي على الأساطير. إذ أن دراسة الأساطير يعد أمرا ضروريا لأن تاريخ الأمم والشعوب يكمن في هذه الحكايات الخرافية، وبهذه الطريقة يمكن اكتشاف بدايات العلم وبدايات الأمم التي تناقلت هذه الأساطير على مدى سنوات طويلة فأصبحت جزءا من تراثها. فهي تشتمل على العادات والتقاليد والأفعال والأفكار القديمة، كما أن "الأسطورة لم تمكن الأديب فقط من التسرب إلى أسرار الماضي القديم، بل منحته قوة معاصرة على أن يفعل ما كانت الأسطورة تفعله دائمان أي ابتداع حكايات...فإن الأدب يعتبر أيضا أسطوري من حيث قدرته على تركيز وتفسير شظايا تجارب الحياة المعاصرة وإعطاء هذه التجارب للناس هدفا لم يعد العلم أو الديانة العقلانية قادران على أن يقدما لها تفسيرات تقيم الحياة "[51].

فالعالم الأسطوري ليس في حقيقته عالما علميا، ولكن الأدب هو الذي يكتب داخل هذا العالم ويشكل العادة الأسطورية للعقل وهي عادة خيالية.

فالأسطورة في معناها بعيدة كل البعد عن منطق العلاقات الواقعية بين الأشياء، كما أن أبطالها خياليين بعيدين عن عالم البشر. فهناك بعد كبير بينها وبين الواقع وهذا ما يفصل بينها وبين الروايات الأخرى التاريخية والاجتماعية والسياسية وغيرها من

[51] عبد الرحمان عبد الحميد علي : النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، ص215.214.

الروايات التي تبني أحداثها على الواقع السياسي أو الاجتماعي...ولكنها تتفق معها في المستوى الففني الذي يكمن في قدرة الكاتب على النفاذ من خلال هذا الإطار على قضايا حاضرة واتخاذ موقف منها داخل سياق الأحداث فقد أخذت الرواية الأسطورية أحداثها من الطبيعة الخاصة للأسطورة وابتعدت عن الواقع المألوف. ويتمثل هذا اللون من الروايات في مصر بروايتي أحلام شهرزاد لطه حسين، وألام جحا لمحمد فريد أبو حديد ومع توافق الروايتين في الإفادة من الخاصية السابقة للأسطورة فان رواية "طه حسين اعتمدت على أسطورة ألف ليلة وليلة – أو بعبارة أدق– على شخصيتيها الأساسيتين، وهما شهريار وشهرزاد والمعروف أن هذه الأسطورة قد راجت ونالت مكانة واضحة في التراث الأدبي العربي، ومنه انتقلت إلى آداب الأمم الأخرى، على حين أن أسطورة جحا التي اعتمدت عليها رواية "آلام جحا " لمحمد فريد أبو حديد لم تحظ بمثل هذه المكانة، وربما يرجع ذلك إلى طابعها الهزلي الساخر، والى اقتصار روايتها وتناقلها على الشفاه دون الكتابة " [52]، إذ نلاحظ أن طه حسين قد وجد من خلال روايته منفذا لاستغلال القالب الأسطوري فتناول فيه قضية الحرب والسلام والديمقراطية والأوضاع القائمة في مصر بعيدا عن الاتهام المباشر الذي قد يؤدي به إلى مالا تحمد عقباه، كذلك محمد فريد أبو حديد ضرب من خلال روايته " الحاضر وما فيه من مشكلات وآلام "، وتحدث عن طغيان الملوك بطريقة غير مباشرة كما فعل طه حسين.

5. الرواية النفسية :

كانت فترة كتابة الرواية النفسية عام 1921 أطلقت عليها اسم الرواية التحليلية، وهي الرواية التي يبرز فيها جانب التحليل النفسي حتى يكاد يطغى على بقية عناصر الرواية، كالأحداث والشخصيات والحوار وغير ذلك من المقومات الفنية حيث يتصور

[52] شفيع السيد : اتجاهات الرواية العربية، ص56.55.

الكاتب جانب التحليل النفسي للبطل، وحشد كل ما يمكن من هذا التحليل ويعين عليه من معرفة ماضي هذا البطل وما تكون لديه من عقد، أو ما ضج به عالمه الفني من صراعات فالرواية النفسية تعتبر "مزيجا من نبرة الاعتراف وتصوير الأهواء وفن الحياة والحوار والاستحضار الخفي لكل ما هو مدهش"[53]، فيتناول الراوي فيها الحياة وما فيها من أزمات كأزمة فردية نابعة من سلوك الشخصية وظروفها المحيطة بها، وربما يكون لبعض التقاليد الاجتماعية المتوارثة أثر في نشوء هذه الأزمة، ولكنها تبقى في نطاق الذات الفردية وربما يكون للنضال السياسي دور في ذلك ولكن قلما نجد اهتماما من الكاتب لأحداث السياسة العامة في تلك الفترة التي جرت فيها أحداث الرواية، أو يتناول أزمة البطل في معاناته لتجربة حب عميق يحول دون اكتمالها بالزواج، إضافة إلى العوامل الأسرية التي تزيد من الأزمة "ومن أوائل كتابها اندريه موروا الذي كتب رواية بعنوان أجواء 1929 عن أجواء لأسرة رفيعة في باريس، ومن الروايات التي تمثل هذا اللون أيضا نذكر رواية ثريا لعيسى عبيد، ورواية رجب أفندي لمحمود تيمور، ورواية أديب لطه حسين" [54]، ورواية اللقيطة وبعد الغروب وشجرة اللبلاب لمحمد عبد الحليم عبد الله التي تعد كتجربة عربية أولى له "أما الميلاد الحقيق لهذا الفن فيتمثل في رواية شمس الخريف إذ يتحقق فيها كثيرا من أثقال الرواية المثالية وتتضح مقدرته على التعامل مع الواقع بكل ما فيه من مرارة وقسوة، وخلف مواقفه من هذا الواقع والنفاذ إلي بواطنها بعين الفنان، والرواية غنية بالصراع المتعدد الحلقات لكن نقطة البداية كانت داخل الأسرة، وفي كل حلقة من حلقاته أو موحلة من مراحله تتركز حرارته حول شخص واحد في ارتباطاته الأسرية أو العاطفية" [55]. فقد كان نزوع محمد الحليم عبد الله في رواياته السابقة إلى تصوير أزمة فردية على اختلاف

---

[53] عماد عبد الخطيب : في الأدب الحديث ونقده، ص122.

[54] نادر أحمد عبد الخالق : الرواية الجديدة، ص20.

[55] شفيع السيد : اتجاهات الرواية العربية، ص71.

منابعها وأشكالها واهتمامه بالشعور الفردي دون الشعور الاجتماعي، والى تصوير الفرد بهمومه وعلاقته الخاصة لا إلى تصوير المجتمع.

III. أهم روادها :

1. في مصر :

❖طه حسين (1889– 1973) :

طه حسين علي سلامة أديب وناقد مصري، " لقب بعميد الأدب العربي في الرواية العربية مبدع السيرة الذاتية في كتابه الأيام الذي نشر عام 1929م يعتبر من أبرز الشخصيات في الحركة العربية الحديثة" [56]. يراه البعض من أبرز دعاة التنوير في العالم العربي في حين يراه آخرون رائد من رواد التعريب كما يعتقد الإسلاميين أن الغرب هو خلع عليه لقب بعميد الأدب العربي.

2. في المغرب العربي :

❖ محمد ديب: (1920– 2003)

كاتب وأديب جزائري باللغة الفرنسية في مجال الرواية والقصة والمسرح والشعر، ولد محمد ديب في مدينة تلمسان من عائلة تلمسانية حرفية ومثقفة تلقى تعليمه بالمدرسة الفرنسية دون أن يلتحق بالمدرسة القرآنية التي كان يلتحق بها أقرانه، وبعد وفاة والده سنة 1931 بدأ في الكتابة الشعرية، سافر إلى منطقة قرب الحدود الجزائرية المغربية ليتولى التدريس هناك تم عمل محاسبات في بوجدة، ينشرها حتى عام 1952

[56] نزيه أبو نضال : التحولات في الرواية العربية، ص230.

وبشر فيها باحترام الغليان الشعبي الذي تكلل بانطلاقة الثورة المسلحة بعد عامين فقط، حيث أصدر الحريق سنة 1954"[57].

استغل بالعمل الصحفي فالتحق بصحيفة الجمهورية بالجزائر وأخذ يكتب مقالات نارية تندد بالاستعمار الفرنسي.

❖كاتب ياسين : (1929– 1989)

كاتب وأديب جزائري مشهور عالميا كل كتاباته باللغة الفرنسية صاحب أكبر ولاية للأدب الجزائري بالغة الفرنسية ومن أشهرها في العالم نجمة.

ولد ببلدية زيغود يوسف بقسنطينة، بعد فترة قصيرة تردد أثناءها على المدرسة القارآنية بسدراتة التحق بالمدرسة الفرنسية ببوقاعة سابقا (ولاية سطيف سنة 1935 إلى غاية 1941) حيث بدأ تعليمه الثانوي بسطيف حتى الثامن من ماي 1945، شارك في مظاهرات 8 ماي 1945، قبض عليه بعد خمسة أيام ببوقاعة فسجن وهو لا يتجاوز 16 سنة، وكان لذلك أبعد الأثر في كتاباته، بعدها بعام نشر مجموعته الشعرية الأولى مناجاة دخل عالم الصحافة 1948 فنشر بجريدة الجزائر الجمهورية (ألجي ريبيبليكان) التي أسسها رفقة ألبير كامو، وبعد أن انضم إلى الحزب الشيوعي الجزائري قام برحلة إلى الاتحاد السوفياتي ثم إلى فرنسا عام 1951 قبل وفاته تقلد عدة مناصب منها: منصب مدير المسرح بسيدي بلعباس، توفي بمدينة عزو توبل الفرنسية عن عمر يناهز الستين نقل جثمانه ودفن بالجزائر[58].

---

[57] نزيه أبو نضال : التحولات في الرواية العربية ، ص231.

[58] المرجع نفسه ، ص 235.

❖ الطاهر وطار: (1936- 2010)

كاتب جزائري ولد في بيئة ريفية ولأسرة أمازيغية تنتمي إلى عرش الحراكتة، ولد الطاهر بعد أن فقدت أمه ثلاثة بطون قبله فكان الابن المدلل لأسرته.

يقترن اسم الطاهر وطار بأسماء كبار أدباء الجزائر وهو من ألمع أعمدة الرواية العربية، تلقى تعليمه مبكرا باللغة الفرنسية وتعلم اللغة العربية متأخرا في جامعة الزيتونة بتونس، يفتخر وطار بلغته وثقافته العربية،" ابتدأ وطار تجربته كاتبا مولعا بالخيار النضالي المتاح، فلم يتخلص من أسرار المتوقع الإديولوجي كمثقف عضوي واستغرقته تفاصيل المناضل بشيء من الاحتساب غير العفوي حتى غدت الرؤية الفنية لديه مؤطرة بشكل مكثف فلم ينته عند الاحتفال بالمناضل المتطور بل أسهم في إخراج صورة الإقطاعي على نحو ترتيب الأمور لميلاد الرواية المأدلجة التي حكمت أغلب كتابات الجيل السبعيني" [59]. وللطاهر وطار عدة روايات منها: رواية اللاز، العشق والموت في الزمن الحراشي، عرس بغل، الزلزال.

❖ عبد الحميد بن هدوقة :

ولد سنة 1925 بقرية المنصورة التابعة لولاية سطيف، ولا شك أن نشأته في الأوساط الريفية قد أكسبته معرفة واسعة بنفسية الفلاحين والفلاحات ولم تفقده أسفاره العديدة ولا تنقلاته لبلد للدراسة أو لغيرها الحنان الذي يملأ جميع صفحات هذا الكتاب.

وعبد الحميد بن هدوقة معروف لدى الأدباء بما أنتجه من الروايات التي تناولتها الإذاعة العربية وبما نشرته سابقا نذكر على سبيل المثال: ضلال جزائرية، الأشعة السبعة، الأرواح الشاغرة.

---

[59] سليم بوعجاجة : الطهر وطار، تحولات المتابة، إثبات الرؤية، د ط، مجلة الثقافة، العدد 118، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2004م، ص37..

❖ زهور ونيسي :

هي من مواليد سنة 1936، مناضلة في صفوف جبهة التحرير الوطني منذ سنة 1956، متحصلة على شهادة ليسانس في الفلسفة، دراسة عليا في علم الاجتماع وهي عضو مؤسس للإتحاد الوطني للنساء الجزائريات.

عضو في اتحاد الكتاب الجزائريين وهي مديرة ورئيسة تحرير مجلة المرأة الجزائرية بالإتحاد الوطني للنساء الجزائريات من سنة 1970 إلى سنة 1982.

عضة سابق في المجلس الشعبي الوطني عن سنة 1977 إلى سنة 1982، أول سيدة تعينت عضو في الحكومة بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشهبية سنة 1982.

عضو في اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني 1983، وزيرة الحماية الاجتماعية كذلك وزيرة التربية الوطنية.

❖ محمد شكري: (1935– 2003)

من الروائيين المغاربة، اشتهر بروايته الخبر الحافي.

"ولد شكري في آين شكير في إقليم الناظور شمال المغرب، عاش طفولة صعبة في قريته الريفية، ثم نزح مع عائلته إلى طنجة، عمل كصبي مقهى وهو دون العاشرة، ثم عمل حمالا وماسح أحذية ثم اشتغل بعد ذلك كبائع للسجائر المهربة، لم يتعلم القراءة والكتابة إلا وهو ابن العشرين، ففي سنة 1955 قرر الرحيل بعيدا عن العالم السفلي ودخل مدرسة العرائش ثم تخرج بعد ذلك ليشتغل في سلك التعليم" [60]. نشرت أول قصة له سنة 1966 بعنوان العنف على الشاطئ في مجلة الآداب اللبنانية، حصل شكري على التقاعد وتفرغ للكتابة الأدبية، توالت بعد ذلك كتاباته في الظهور، اشتغل في المجال الإذاعي وخصوصا برنامجه الشهير شكري يتحدث.

---

[60] سليم بوعجاجة: الطهر وطار، تحولات المتابة، إثبات الرؤية، ص37..

❖ فاطمة مرنيسي: (من مواليد 1940)

كاتبة وعالمة اجتماع لها كتب ترجمت إلى العديد من اللغات العالمية مغربية

" ولدت فاطمة بفاس، سجلها أبوها المتدين في أوائل المدارس العربية الوطنية الخاصة التي أنشئت لكي لا يدرس أبناء الوطنيين في مدارس فرنسا الاستعمارية، تهتم كتاباتها بالإسلام والمرأة وتحليل تطور الفكر الإسلامي والتطورات الحديثة، حيث أسست القوافل المدنية وحصلت على جائزة أمير أستورياس للآداب مناصفة مع سوزان سونتاغ" [61].

تابعت دراستها بالرباط ثم فرنسا فالولايات المتحدة الأمريكية ومنذ الثمانينات أصبحت مدرسة في جامعة محمد الخامس بالرباط وبالموازاة مع عملها في المتابة تقود كفاحا في إطار المجتمع المدني من أجل المساواة وحقوق النساء.

❖بوراوي عجينة : (28 أفريل 1951)

ولد بمدينة سوسة " أحرز شهادة الباكالوريا شعبة الفلسفة والآداب الكلاسيكية سنة 1970 ثم درس بمعاهد التعليم الثانوي بالساحل، وأحرز شهادة التبريز في العربية ودرس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان، ثم بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة ومازال يدرس بها الأدب القديم والأدب الحديث والتعريب واللغة[62].

حصل بوراوي عجينة على جائزة أبو القاسم الشابي لعام 2006 عن مجموعته القصصية لمسات متوحشة، ويعتبر عجينة من الفاعلين في الساحة الأدبية التونسية.

---

[61] نزيه أبو نضال، التحولات في الرواية العربية، ص200.

[62] المرجع نفسه، ص289.

3. في المشرق العربي: (1951- 2002)

❖ مؤنس منيف الرزاز:(1951- 2002)

روائي أردني ولد في مدينة السلط الرزاز، هو ابن المناضل الأردني منيف الرزاز الذي عاش في الأردن فترة من حياته، له عدد كبير من الروايات ونشرت أعماله الكاملة عام 2003 بعد وفاته، له العديد من الكتابات المنشورة في صحف عربية واسعة الانتشار، شغل منصب رئيس تحرير مجلة الأفكار الثقافية الصادرة عن وزارة الثقافة الأردنية في وفاته.

" لعل قارئا ما، في مكان ما خارج هذا العالم لو قرأ روايات مؤنس الرزاز الإحدى عشرة لعرف سيرة مؤنس كلها: سيرته الذاتية، سيرة عائلته، وسيرة وطنه وسيرة أمته"[63].

فقارئ مؤنس الرزاز إذا ما فكر بقلبه قليلا أو أحس بعقله كل هذه الاعترافات الروائية التي يفيض بها قلم مؤنس، أن يكتشف أدق أسرار حياته، وسيصل إلى المناطق المعتمة في ذاته الداخلية المليئة بالأسرار وربما بالآثام الإنسانية، النبيلة والمشروعة.

❖ عبد الخالق الركابي: (ولد 1946)

ولد بالعراق في بلدة " بدرة" التابعة لمحافظة الكوت قرب العمارة.... " كان يهودي النحت والأدب، فالتحق بأكاديمية الفنون عام 1965، ثم عمل بعد تخرجه مدرسا للتربية الفنية في ثانوية بدرة 1971.

انتقل للعمل في بغداد في اختصاصه نفسه عام 1975، وكان ذلك مطمعه فقد بدأ يكتب الشعر، وأراد أن يجد فرصته في العاصمة، حيث الكتاب والأدب والصحف

---

[63] نزيه أبو نضال، التحولات في الرواية العربية ، ص289.

والمجلات ودور النشر..." [64]. وهكذا باشر إصداراته الأدبية فأصدر ديوان شعر "صوت بين البحر والصحراء" عام 1975، ثم رواية "نافذة سبعة الحلم" عام 1977.

IV. الأوضاع السياسية والاقتصادية الاجتماعية والثقافية المصرية قبل وأثناء القرن العشرين :

كان الشرف منبعا للفكر والعطاء ومنبعا للخير، ومنبعا للحضارات فلما كانت سنة 1798 زحفت جيوش نابليون بونابارت على مصر فاحتكت مصر بالأوروبيين و"بدأت مسيرة البحث العلمي في مصر في العصور الحديثة عندما رافق العلماء الفرنسيون نابليون خلال احتلاله القصير لمصر، ومنذ ذلك الوقت حدثت في مصر تحولات اجتماعية واقتصادية وفنية وثقافية هامة" [65]. فولى البعثات إلى أوروبا، وعمل على فتح المدارس لاسيما الطبية والعسكرية منها وشجع النقل والترجمة والطباعة والصحافة واتخذ اللغة العربية لغة رسمية للبلاد" [66]. فقد تعددت في عهده المدارس والمطابع، وقد وافق ذلك اضطهاد العثمانيين اللبنانيين والسوريين فهاجروا إلى الديار المصرية، وفي تلك الأثناء تسربت أسباب النهضة إلى سائر البلاد العربية، وانطلقت حركة إنشاء الكتب وإحياء المخطوطات بالطباعة وفي عام 1868 كان هناك تردي لأوضاع الشعب عندما فرض إسماعيل الضرائب الباهظة على الفلاحين، فنادي المثقفون باستبعاد تدخل الدول الأوروبية في شؤون مصر، وذلك بتأسيس نظام يكفل للبلاد حكما عادلا يضع حدا للتدخل الأجنبي، فألف شريف باشا وزارته الوطنية في أواخر عهد إسماعيل الذي انظم إلى هذه الحركة فانتهت هذه الأزمة بخلعه في 1878، وتم تنصيب توفيق بدلا منه الذي تنكر بوعوده للناس الذين توقعوا منه الخير، وحين تم

---

[64] المرجع نفسه، ص200.

[65] أنطوان زحلان : العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي، ط1، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان، ص45.

[66] سحر سليمان الخليل : في الأدب العربي الحديث، ص9-10.

استئناف النهضة في عهد إسماعيل أعيد فتح المدارس وإنشاء الصحائف، إذ أسهمت هي الأخرى في نشر الوعي نذكر منها " صحيفة الجوائب لأحمد فارس الشديق وكذلك برزت جمعيات: جمعية المعارف التي أسست سنة 1868 والجمعية الخيرية الإسلامية التي أنشأــ بعد سابقتها بعشر سنوات، وجمعية القاهرة التي أنشأها محمد عبده في 1892 كما أسهمت المطابع في دعم أسس النهضة فبالإضافة إلى مطبعة بولاق التي أنشأت في 1882 تم تأسيس مطابع أخرى خالصة أسهمت في إحياء التراث ككتاب الأغاني ومقدمة ابن خلدون والعمدة " [67]. كما كان لظهور الاتجاه الإصلاحي الديني على يد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده أثر في دفع النهضة إلى الأمام.

أما في فترة ما بين الحربين العالميتين فمن حيث الوضع السياسي كان لا يزال الحكم الملكي على قمة السلطة إلى جانب الأحزاب السياسية إضافة إلى المندوب السامي البريطاني الذي كانت تسنده قوات الاحتلال، وكان الصراع قائما بين هذه الأطراف ليتحول من ساحة الكفاح الوطني إلى ساحة الأطماع والمصالح الشخصية، وقد كان الشعب المصري رافضا للاحتلال، فأصبح يستغل بعض الأحداث لإشعال المظاهرات تعبيرا عن مشاعر السخط والبغض اتجاه الاحتلال البريطاني، فكان الحزب الحاكم يقابل هذه المظاهرات باعتقال المتظاهرين بقسوة، فتحول هذا السخط الشعبي إلى مقاومة مسلحة وهي ثورة يوليو التي قادها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر وهي أهم حدث وقع في مصر والوطن العربي في القرن العشرين وهي استجابة طبيعية حادة لوجود أزمة اجتماعية سياسية في مصر فقد تعثر النظام الملكي الحاكم في مواجهة مشكلين رئيسيين وهما المشكلة الوطنية والمسألة الاجتماعية أو الاستقلال والعدالة "وكانت إخفاقات النظام المتتالية في مواجهة المسألتين في الفترة من 1923 إلى 1952

[67] علي عبد الحميد مراشدة : في الشعر العربي الحديث، محمود سامي البارودي، دط، عالم الكتب الحديث، مصر، 2009، ص 52..

مرورا بتعديل الدستور ومهادنة الانجليز وإطلاق يد كبار الملاك في النهب والاستغلال، وهزيمة حرب فلسطين والفشل في إجلاء قوات الاحتلال عن منطقة قناة السويس، والعبث بالحريات العامة، وازدياد حدة البطالة والتضخم وانتشار الفساد هي أسباب السخط واليأس والأمل الذي اعتمد في صدور الضباط الأحرار"[68].

وكانت هذه الإخفاقات هي التي وضعت النظام الملكي في مأزق أزمة تاريخية حادة في أوائل الخمسينيات وجعلت لتلك الثورة حتمية واستجابة ضرورية لتلك الأزمة فمن المبادئ الاجتماعية لتلك الثورة " القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين والقضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم، ولإقامة العدالة الاجتماعية"[69]. أما من حيث الوضع الاقتصادي فقد ظلت الطبقة الإقطاعية صاحبة الامتياز كما ظهرت إلى جانبها طبقة متوسطة برز دورها في ثورة 1919 وتتألف من التجار والموظفين وذوي الملكيات الزراعية وساعد نمو هذه الطبقة إنشاء بعض المصانع والشركات الوطنية "فبعد ثورة 1952 حدث نمو كبير في دور القطاع العام وفي عدد المشاريع الصناعية وتم تأميم قناة السويس، وإقرار الإصلاح الزراعي وبدأ التوسع في الخدمات الاجتماعية، واقتضت هذه النشاطات كلها قوة علمية وفنية، وفي فترة ما بين 1952 و 1957 سجلت زيادة نسبتها 261% في عدد القوى البشرية التقنية في مصر، وتأسست أربع مؤسسات علمية جديدة كبرى خلال هذه الفترة: المجلس الأعلى للعلوم، المركز القومي للبحوث، مؤسسة الطاقة الذرية، ومعهد الصحراء" [70].

---

[68] سعد الدين إبراهيم وآخرون : مصر والعروبة وثورة يوليو، ط1، مركز دراسة الوحدة العربية، لبنان، 1982، ص12.

[69] المرجع نفسه، ص122.

[70] أنطوان زحلان : العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي، ص61.

ومن أهم الظواهر التي برزت في المجتمع المصري خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها ظهور القضية الاجتماعية ومنها قضية توزيع الثروة وتحقيق العدالة الاجتماعية، فقد عملت جماعة الإخوان المسلمين على تربية إسلامية" فمن وجهتها السياسية قد ركز أدبها السياسي في رفض الجامعة القومية مصرية كانت أم عربية ونادت قولا واحدا بالجامعة الإسلامية، وأنه حيثما يوجد مسلم فثمة أرض الإسلام" [71].

إذ تمثلت صحافة الجماعة في مجلة الدعوة ومجلة الشهاب، أما حزب مصر القناة الذي يغير اسمه إلى حزب مصر الاشتراكي. ودعا إلى ضرورة تحرير الوطن ونادي بوحدة الشعوب العربية ونادي بالاشتراكية، أما التنظيمات الشيوعية فمارست نشاطها في خفاء نشاطها وكان هدفها الأساسي، طرد الاستعمار والوقوف إلى جانب الدول الاشتراكية أما حزب الطليعة الوفدية فدعا إلى مناصرة الطبقة الشعبية المضطهدة، وأسهمت هذه الأحزاب في حرب فلسطين" فقد بدأ الاهتمام المصري شعبيا ورسميا بالقضية الفلسطينية يتضح تماما بعد اندلاع الثورة الفلسطينية مطروحة بإلحاح على الساحة السياحية في مصر فقد كان هناك ثلاث بدائل للتعامل مع الواقع الإسرائيلي الموروث، فأما أن تسعى مصر للبحث عن تسوية بالشروط المصرية سلما أو حزبا، وإما أن تحاول تحميس الوضع القائم الذي كانت تحكمه اتفاقية الهدنة المبرمة بين مصر وإسرائيل عام 1949 أو بالاكتفاء باتخاذ إجراءات مضادة للرد على تحركات الطرف الإسرائيلي أي الاكتفاء برد الفعل"[72]، إذ افتتح الشعب المصري كفاحه بعدها.

---

[71] سعد الدين إبراهيم وآخرون : مصر والعروبة وثورة الوطن العربي، ص 61.

[72] حسن نافعة : مصر والصراع العربي الإسرائيلي، من الصراع المحتوم إلى التسوية المستحيلة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1984، ص23.

V. البيئة الاجتماعية المصرية في عصر نجيب محفوظ:

إن الشريحة التي عنى بها نجيب محفوظ كانت الطبقة الشعبية بمختلف مستوياتها، فإن أصالته تزداد تألقا ورسوخا بالتصاقه بهموم مجتمعه وقضاياه الممتدة في أواخر الحري العالمية الأولى إلى نهاية الحرب العالمية الثانية وبعدها، فمن أهم الظواهر التي بدت في المجتمع المصري ظاهرة الانتماء السياسي والعقائدي، إذ ظهرت أحزاب سياسية منها الإخوان المسلمين 1927 الذي كان منشغلا "بهموم فلسطين والمغرب العربي فمن وجهتها السياسية" رفض الجامعة القومية مصرية كانت أم عربيا ونادت قولا واحدا بالجامعة الإسلامية أنه حينما يوجد مسلم فثمة أرض الإسلام" [73]. أما حزب الوفد فقد أسهم إسهامه التاريخي الضخم في بناء الجامعة الوطنية في مواجهة الجامعة الدينية ومذهب الخلافة الإسلامية، وزعزع بذلك أركان الاحتلال البريطاني لمصر والسيطرة الأجنبية عليها. ففي رواية نجيب محفوظ "بين القصرين" قد بدا الانتماء السياسي واضحا فيها، إذ نرى أن فهمي أحمد عبد الجواد الطالب بمدرسة الحقوق ينظم إلى تنظيمات الثورة الشعبية التي اشتعلت سنة 1919 تطالب باستقلال الوطن وتحريره من قبضة الاحتلال البريطاني كما تطالب بالتغير الاجتماعي فالمشروع الاجتماعي جزء من الثورة إذ يمكن القطع "بأن المشروع الاجتماعي للثورة قد بدأت بذوره في الأسابيع الأولى للثورة خلال الشهرين الأولين أصدرت الثورة إجراءين مهمين: قانون الإصلاح الزراعي والثاني إلغاء الألقاب المدنية"[74]. فانتهت الرواية – " قصر الشوق " – بسقوط فهمي شهيدا" في المظاهرة السلمية لتكون أنموذجا للتضحية الدموية التي تحملتها الطبقة البرجوازية المصرية في هذه الثورة، كما ظهر إلى جانب حزب الوفد حزب الأحرار الدستورين ليمثل طبقة

---

[73] إبراهيم سعد الدين إبراهيم وآخرون : مصر والعروبة وثورة يوليو، ص34.

[74] أنطوان زخلان : العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي، ص 166.

كبار الملاك وذوي الجاه، ولم يستطع هذان الحزبان أن يستقطبا كل فئات الشعب المصري، فقد كان الأستقراط ينتمون إلى الأسرة الحاكمة أو يلوذون بها وهؤلاء لا تجري في عروقهم دماء مصرية صميمية، كما كانت هناك فئة مصرية في تكوينها لحما ودما، لكنها شغلت في الأعم الأغلب بهموم حياتها الخاصة عن هموم الوطن وقضاياه الكبرى ولم تعبأ بموقف سياسي في أي اتجاه، وفي الجانب الثاني من ظاهرة الانتماء هو الانتماء العقائدي فهناك اتجاهين الديني الإسلامي والفكر الاشتراكي الماركسي" فمن المعروف أن أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة هو خالد محي الدين كان ماركسيا منتميا للحزب الشيوعي قبل الثورة، وكان أنور السادات على علاقة بجماعة الإخوان المسلمين ومن قبلها مصر القناة، كذلك كان كمال الدين حسن متعاطفا مع الإخوان المسلمين"[75].

وقد عبر نجيب محفوظ عن ذلك في "القاهرة الجديدة" إذ كان مأمون رضوان ممثلا للتيار الأول، وعلى طه معبرا " عن آراء الجانب الآخر فكلاهما يؤمنان بضرورة المبادئ الإنسانية ويختلفان في تحديد المنبع الذي تستمد منه هذه المبادئ فمأمون رضوان يراها في شرعية الإسلام التي أنزلها الله عز وجل علي طه فقد كان يؤمن بالعلم بدل الغيب والمجتمع بدل الجنة والاشتراكية بدل المنافسة ولكنها متفقين في قضية الاستقلال الوطني وكلاهما يفضل الوفد على غيره من الأحزاب لكفاحه من أجل الاستقلال، كما دخلت الحركة الإسلامية حلبة السياسة الدينية لتشارك في عبء الكفاح الوطني، إذ ترى أن العلم هو أساس الحياة الحديثة، أما الطريقة إلى تطبيق شرعية الإسلام فلا يكون إلا بالدعوة والتبشير، وتكوين الأنصار والمجاهدين فإذا ما انتهت الحرب ونزع الناس ثقتهم من الأحزاب هبوا يحملون السلاح في يد، والقرآن في اليد

[75] سعد الدين إبراهيم وآخرون: مصر العروبة وثورة يوليو، ص120.

الأخرى، وفي الجانب الآخر كان التنظيم الماركسي وهو أقل كثيرا في أفراده من جماعة الإخوان.

يؤمن بحتمية الماركسية، ولكنه يرى أن هذه الحتمية لن تتحقق بصورة تلقائية، وإنما لا بد من أيقاظ وعي الطبقة الكادحة بمعنى الدور التاريخي الذي يجب أن تلعبه لتنقذ نفسها والعالم جميعا وسبيل ذلك هو الاتصال بالأوساط العالمية، وتوزيع المنشورات السرية بينهما ومحاولة إقناع المثقفين بأن الدين خرافة تخدر الشعوب، ومع أن أعضاء التنظيم كانوا يرون في دعوة الإخوان خطرا كبيرا على آرائهم فإنهم في الوقت نفسه أمنوا اتجاه حركة التاريخ في جانبهم، وبأن نشر العلم كفيل بالقضاء على دعوة الإخوان.

إضافة إلى ظاهرة الفقر والحرمان والتخلف الذي هو في النهاية "حصاد للاستغلال الخارجي الممثل في الاستعمار والأمبريالية والاستغلال الداخلي ممثل في الفئات المسيطرة أو المتسلطة والتي دخلت مع القوى الخارجية في مشروع الاستغلال هذا كعميل في وسط أو شريك فالتخلف العربي هو نتاج لنظام الاستغلال المتعدد الحلقات والتي تبدأ سلسلته في إحدى العواصم الأمبريالية الخارجية والتي تنتمي في أي مدينة عربية "[76].

وكان من نتاج ذلك في مصر السقوط الجنسي فهذه الممارسة غير مشروعة للجنس عند بعض الفتيات كانت وسيلة لكسب العيش ومغالبة الفقر والحاجة إضافة إلى الشذوذ الجنسي إذ عبر عنها نجيب محفوظ في "زقاق المدق" من خلال المعلم كرشة الذي قضى عمره الذي شارف الخمسين في أحضان الحياة الشاذة.

---

[76] أنطوان زخلان : العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي، ص130.

الفصل التطبيقي

تحليل الرواية

I. قراءة في العنوان :

1. تحليل العنوان :

يتم النظر إلى العنوان كعتبة أولى وفق مستويين اثنين هما :

أ. مستوى الخارج النصي : Hors-Textuel

يركز على دلالة وإيحائية العنوان وما يظهره ويبديه هذا العنوان يقر ذلك دون اكتراث بالنص الأدبي، أي " التطرق إلى العنوان باعتباره بنية مستقلة لها انشغالها الدلالي الخاص"[77].

ب. مستوى التداخل النصية : Co-Textuel

يركز على العنوان في حد ذاته باعتباره بنية متضمنة في النص، موحية لمضامينها ملخصة لأفكارها، بمعنى أنه "مستوى تتخطى فيه الإنتاجية الدلالية لهذه البنية حدودها متجهة إلى العمل ومشتبكة مع دلائليته ومحفزة إنتاجيتها الخاصة بها"[78].

إن هذا عتبة نظرية كان لابد أن نعرج عليها قبل السير باتجاه عنوان الرواية حتى نتعرف على ما تحويه من كلمات أو مفردات ثم التطرق إلى علاقتها بالمكان الذي جرت فيه أحداث هذه الرواية، ولكن قبل أن نعرج إلى هذا العنصر نتوقع أن هذا العنوان "قصر الشرق" له ارتباط بمكان مجريات الأحداث وذلك لأن كل كاتب أو روائي أو مسرحي يضع عنوان كتابه انطلاقا من أحداث مجريات الرواية والأمكنة والأزمنة التي جرت فيها أحداثها.

---

[77] : محمد فكري الجزار: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي ، ط2 ، الهيئة العامة للكتاب ، الكويت ، 1998، ص8.

[78] : المرجع نفسه، ص8.

2. محتوى العنوان :

أ –**قصر** : ورد في لسان العرب " أعناق الرجال والإبل، قال :

لا تدلك الشمس إلا حدو منكبه في حومة تحتها الهامات والقصر.

وقال الفراء في قوله تعالى :« إنها ترمي بشرر كالقصر»

قال يريد القصر هي أصول الشجر العظام، ومن لم يكن فليفعل له بها أصلا ولو قصدة، وقصد العشي يقصر قصورا إذا أمسيت، وقال العجاج: حتى إذا ما قصد العشي.

ويقال : أنيته قصرا، أي عشيا، وقال كثير عزة :

كأنهم قصرا مصابيح راهب بموزن روى بالسليط دبالها.

هي أهل ألواح السرير ويمنه قرابين أردافا لها وشمالها"[79].

أما في المعنى الاصطلاحي المعروف لمفردة القصر هو البيت الكبير ذو الطوابق الكثيرة والغرف المتعددة والجيدة المصقولة ذات جدران مزخرفة وأفق الغرف ذات ترايا عتيقة وفي قمة الجمال، وكلمة قصر توحي بالكبر والسمو والعلو سواء في بناءها أو في الناس الذين يقيمون فيها.

قصر الشوق : ورد في لسان العرب لابن منظور " الشوق والاشتياق، نزاع النفس إلى الشيء، والجمع أشواق، شاق إليه شوقا، وتشوق، واشتاق اشتياقا.

والشوق حركة الهوى، والشوق العشاق، ويقال شق إذا أمرته أن يشوق إنسانا إلى الآخرة.

ويقال شاقني الشيء يشوقني، فهو شائق و أنا مشوق وقوله :

[79] : ابن منظور : لسان العرب،ج3، ص168.

يا دار سلمى يدكا ديك البرق صبرا فقد هيجت شوق المشتق.

وشاق اللطنب إلى الوتد شوقا: مده إليه فأوثقه به، ابن برزج: شقت القرية أشوقه و السياق: كالشياط انقلبت الواو فيها ياء للكسرة ورجل أشوق: طويل[80].

وكلمة الشوق مرتبطة في معناها الاصطلاحي المعروف بالمحبين والعشاق،"ولكن نجيب محفوظ في روايته " قصر الشوق" لا يقصد بهذا لا المنزل الكبير ولا شوق العشاق ولكن " قصر الشوق " ما هي إلا منطقة بها شوارع كانت دهاليز وكان هذا القصر " قصر شجر الدر" سميت بهذا الاسم حيث كانت هذه المنطقة قديما تقريبا في المنطقة على آثار وكنوز بعضها تمتلكها الحكومة وجزء وجده بعض الأفراد واحتفظوا به، ما يثبت أن هذه الشوارع منطقة الجمالية كانت قصر انك تجد الشوارع معلقة والبعض بعشوائية والبعض منمط ومنسق" [81].

ومن هنا نستخلص أن عنوان النصوص يكون لما في النص، حيث لا يمكننا أن نحكم على عنوان النص من خلال مفرداته، كما هو الحال في رواية قصر الشوق فهذه الكلمات توحي بشيء أما الرواية فمعناها مخالف والعنونة عند نجيب محفوظ هي جزء لا يتجزأ من العملية الإبتدائية الداخلية للنص، فهو يختار عناوين رواياته بعناية شديدة ويطلقها على نصوصه برهافة وشفافية تكاد تصل حد الاحترام ولعل هذا الاهتمام الكبير الذي أولاه نجيب محفوظ لعناوين رواياته قد منحها في المقام الأول هذا الحضور وهذه المكانة في ساحة الرواية العربية بل العالمية أيضا، يعتبر العنوان علامة وإشارة مهمة لهذا العالم الذي شيده وجماليات التعبير، وسلاسة التفكير، وقوة المنطق وجودة الحبكة، وغير ذلك من التعبيرات التي أصبحت علامة على هذا العالم الروائي الثري الخصب، فالعنوان يعتبر أهم العتبات في دائرة البدايات الأولى لمحور

[80] ابن منظور : لسان العرب،ج3، ص168.

[81] http:/ www.ar.wikipedia.org/wikia

النص وخطوطه الأساسية لارتباطه لنواح التأويل وجوانب الدوال، فلا يمكن تصور نص بمعزل عن العنوان شكل جزءا مهما فيه وذلك حتى يكون بمثابة نص كلي بنية مختزلة من الناحية اللغوية ومكثفة من الناحية الدلالية، لأنه يحتوي فكرة النص العامة التي تساعد في فهم النص وكشف دلالته، ليتضح بذلك العنونة أكثر من هامة، وهو ما أكده جون كوهن من خلال قوله " نلاحظ مباشرة أن كل خطاب نثري علميا كان أم دينيا يتوفر دائما على العنوان في حين الشعر يقبل الاستغناء عنه " [82]. حيث صارت كل أعمال نجيب محفوظ الروائية وعلامتها المميزة المتمثلة في عناوينها وفي الشخوص والأحداث والأماكن، لها حضورها الخاص وتوهجها النصي في ساحة التلقي والنقد.

[82] : بلقاسم دفة: التحليل السينمائي للنبي السردية، محاضرات الملتقى الوطني الثاني، السيمياء والنص الأدبي، دط، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2002، ص 35.

II. دلالة العنوان وعلاقته بالمكان :

1. دلالة العنوان :

يعد العنوان إجمالا عتبة أولى لا تنفى ولا تصادر عتبات أخري للنص بدءا من لوحة الغلاف، الإهداء والمقدمة، كذلك كلمة النسر وإهداءه، أما العنوان فهو هدف دراستنا، يتمثل للمتلقي هدف أولا لأن أول ما يلفت الانتباه عند حمل أي كتاب أو رواية أو قصة إذ أن " فعالية الذات والمتلقي هذه تصب أول ما تنصب على العنوان الذي يمثل أعلى اقتصاد لغوي " [83]، فالعنوان يمكن القراء من الدخول والولوج إلى أعماق وأغوار النص المقروء والمدروس، حيث أن أول عتبة يطؤها الباحث السيمولوجي هي استنطاق العنوان واسقراءه أحد المفاتيح الأولية والعتبات النصية الأولية والأساسية التي على الباحث أو الدارس أن يحسن قراءتها وتفكيك شفراتها الغامضة والسهلة الواضحة على حد سواء، وتأويلها وشرحها إلى لغة فصحة سهلة وذلك لتسهيل التعامل مع العنوان ومعرفة ما يدور في النص في دواخله وأغواره من خلال هذا العنوان إذ هو " بمثابة العتبة التي علم الدارس أن يطأها قبل إصدار أي حكم فهو المفتاح الإجرائي الذي يمدنا بمجموعة المعاني التي تساعدنا على فك رموز النص، وتسهيل مأمورية الدخول في أغواره وتشعباته الوعرة " [84]. وذلك لأنه أخطر وأوعر وأعقد العتبات المتربعة على جسد النص والمانحة إياه كيانا ووجودا خاصا قبل قراءته.

والعنوان يعتبر نصا مستقلا من جهة ودالا على العمل من جمة أخرى وهذا لا يعني شيئا سوى الغوص والعمق في النصوص بحثا عن دلالة العناوين المدروسة

---

[83] : محمد فكري الجزار: العنوان وسيموطيفا الاتصال الأدبي، ص 10.

[84] : جميل حمداوي، السيموطيفا والعنونة، دط، مجلة علم الفكرّ، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1997، ص 97.

وامتدادها وذلك من إدراك الدرس أن العنوان يختلف من نوع لآخر، غير أن تلك الاختلافات ليست حدودا قاطعة ونهائية بل مما يحوج إلى التعويل كثيرا على التلقي الذي يختلف من قارئ لآخر حسب اشتراطات، فكثير ما يحيلنا العنوان إلى ما نجهله أو إلى أمر استخلف علينا فهمه والعنوان من أهم العناصر المكونة للمؤلف الأدبي، حيث يعتبر سلطة النص وواجهته الإعلامية يمارس على النص " إكراها أدبي، كما أنه الجزء الدال من النص يؤثر على معنى ما، فضلا من كونه وسيلة للكشف عن طبيعة النص والمساهمة في فك غموضه " [85]. ويعرفه جيرار جينيت في كتابه " seuils"، إنه مجموعة من العلامات اللغوية الموجودة في بداية النص للتعيين من أجل الإخبار عن المضمون العام لجذب القراء، أي أنه نواة " أو مركز النص الأدبي الذي يمدنا بالمعنى النابض.

فالعنوان يعطينا قدرة لتفكيك وتحليل شفرات النص الغامضة، فهو المحور الذي يتولد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه والذي يحدد هوية النص أو القصيدة أو الرواية أو القصة على حد سواء، وهو إذ صحت المشافهة بمثابة الرأس للجسد والأساس الذي تبنى عليه العلاقة بين النص والعنوان " علاقة جدلية، إذ بدون العنوان وحده عاجز عن تكوين محيطه الدلالي، وبدون العنوان يكون النص باستمرار عرضة للذوبان في نصوص أخرى" [86]. إنه مثل العنوان الشخصي الذي يدل على شخصية الإنتاج.

يشكل العنوان جزءا مهما في أي مصدر أو أي مرجع من المراجع باختلاف أنواعها (روايات، قصص، كتب علمية، فلسفية، أساطير، ملاحم... إلخ)، فلا يكمن زمن المستحيل أن تجد كتابا بدون عنوان غير طبيعي فالعنوان يحوي الفكرة العامة للنص التي تساعد على فهم النص وكشف دلالته، وإذا ذكر العنوان في النص فلا يأتي

---

[85] : شعيب خلفي: هوية العلامات – في العتبات وبناء التأويل، ط1، النجاح الجديدة، المغرب، 2005، ص 11.

[86] : الطاهر وروايتيه: الفضاء الروائي في الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة، دراسة في المبنى والمعنى، دط، مجلة المساءلة (اتحاد الكتاب الجزائريين)، 1991، ص 01.

غريبا عن مسامعنا لأنه يشكل جزءا مهما في كل كتاب بأن يكون بمثابة نص كلي في بنية مختزلة من الناحية اللغوية ومكثفة من الناحية الدلالية لأنه يحتوي فكرة النص العامة التي تساعد على فهم النص وكشف دلالته، لتصبح بذلك العنونة أكثر من هامة، لاختيار عنوان كتابه ليجذب إليه القراء من جهة ومن جهة أخرى لا بد أن يكون هذا العنوان مطابقا أو ما شابه، ومن ذلك مسؤولية الآباء حول موضوع اختيار أسماء لأولادهم كذلك شأن اختيار العنوان للمصدر أو المرجع المراد عنونته " فالعنوان أول ما يلقاه القارئ الأدبي كما يفكر الوالدين في تسمية طفلهما، إذ هو جنين لم يظهر بعد إلى الوجود، هو بالنسبة للمبدع اسم علم، يعرف به هذا المولود الجديد يعبر عن مشاعره نحوه، وغالبا ما تكون هذه المشاعر غامضة مختلطة، ولكنه يحاول أن يحددها" [87]، حيث أن عنوان النص الأدبي هي أكثر الأعمال التي يقوم بها الكاتب عقلانية وهو ما يجعلها تحظى باهتمام واسع على خلاف باقي العتبات، فالعنوان ورغم أنه آخر ما يختم به الكاتب عمل الإبداعي الأدبي إلا أنه يعد المدلول الأول له.

فالعنوان بوضعته الأولية في صدارة النص هو الذي يمنح النص الأدبي هويته الرسمية، في حالة تطابق معناه ورؤيته الخاصة مع ما ورد من أحداث ورؤى وهو الذي يشير في الملتقى الحفيضة الذائقة المرجوة من قراءاته وتلقيه، ويثير الفضول الدائر حوله ويمنحه جوانب محددة من التبئير الواجبة في المعنى والمضمون المراد توصيله " إن مجموعة التساؤلات المطروحة هنا تقضي إلى حقيقة النص ومعناه ومن ثم فهمه من أجل ذلك كان لا بد من تأويله أو محاولته على نطاق الخطاب كل الإشكالات العالقة فيه، ذلك لأنها تحجب عنا معناه وتحول دون تمثل التجربة التي ينقلها، والمغزى الذي ينطوي عليه " [88].

---

[87] : شكري عباد: مدخل إلى علم الأسلوب، دط، عالم الكتب الحديث، الرياض، 1982، ص215.

[88] : المؤتمر النقدي الدولي: تحولات الخطاب النقدي، دط، العربي، عالم الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2006.

والعنوان كما عرفه إتش هوك بأنه مجموعة من العلاقات اللسانية قد يرد طالع النص لتعيينه وتعلن عن فحواه وترغب في القراء فيه.

2. دلالة المكان :

تعد الأمكنة من أساسيات الأعمال الفنية الأدبية وهي لا تقل شئنا عن العنوان أو الزمان أو غيرهما من المكونات الرئيسية للعمل الفني، حيث يبرز المكان بشكل كبير وواضح في الميادين الروائية، إذ أنه لا يمكن إنجاز أي عمل أدبي باختلاف أنواعه وأشكاله دون ذكر الأمكنة وعزلها عن هذا العمل الفني، سواءا كان حقيقيا أم ضربا من خيال الكاتب والمؤلف فمن خلاله يستطيع أن " يخلق الكاتب عادة عالما روائيا، تقع فيه أحداث الرواية، يعتبر ارتياحا عن عالم الواقع إلا أنه يختلف عنه اختلافا جوهريا، يجعله قادرا على أن يسم المكان سيمات تجعل له تأثيرات واضحة على شخصية ما من أحاسيس ومشاعر... [89].

وهو متأصل منذ القديم، أي منذ وجود الإنسان الأول قد منحه الدارسون اهتمامهم، لكونه قد شغل الفكر الفلسفي لمدة زمنية طويلة بخاصة مع " أفلاطون " يؤكد الدارسين " وقد صرح أفلاطون بأول استعمال اصطلاحي للمكان، إذا عدة حاويا وقابلا للشيء، وبعد هذه الإشارة أخذ مفهوم المكان يحتل أهمية في أبحاث الفلاسفة فخصص له معظم المؤلفات، وإن اختلف أصحابها في تحديد مفهوم محدد له " [90]. ولم يبق الأمر حكر ومقصرا عل الفيلسوف " أفلاطون " فقط بل امتد إلى ليصل إلى تلميذه " أرسطو " الذي كان ينظر للمكان على أنه " صورة جزئية، فظهر لديه لمظان من الأمكنة.

---

[89] : موسى إبراهيم النمر: جماليات التشكيل الزماني والمكاني لرواية الحواف، مجلة فصول، مح 12، العدد 2، القاهرة، 1993، ص 313.

[90] : ابراهيم جنداري: الفضاء الروائي عند جبر إبراهيم جبر، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2001، ص 167.

الأول أطلق عليه المكان العام والذي يعني لديه المكان الكلي الذي يحوي جميع الأشياء، أما النمط الآخر من الأمكنة فيقصد به المكان الذي يحتوي الأشخاص والموجودات المخصوص الحديث حولها " [91] حيث أن الحيز المكاني لم يقف عند حدود ما قدمه قدماء الفلاسفة، بل جاءت المفاهيم والدراسات السابقة، لتكون خطوة أولى.

حدود ما قدمه قدماء الفلاسفة، بل جاءت المفاهيم والدراسات السابقة، لتكون خطوة أولى في مجال توسيع المصطلح وخصوصيته، إذ يقسمه " جاستون باشلار " إلى مجموعة من الأنماط " فيظهر لديه المكان المغلق والمكان المفتوح والمكان الأليف، ولا يقف الأمر عند ذلك بل نراه يربط المكان بمجموعة من الذكريات التي تلامس حياة الشخصيات الإنسانية " [92] ، أما عن الدراسات العربية فقد جاء المكان عنصرا رئيسيا " حسب منظور المرزوقي الذي يرى أنه السطح المشترك بين الحاوي والمحوى " [93].

ومن هناك تعاريف عديدة ومتعددة لمصطلح المكان، كذلك هناك أنواع للأمكنة، فهناك أمكنة عمومية وأمكنة خاصة، والمكان وفق دوره الأساس في العمل الروائي لا ينفصل عن بقية العناصر الروائية الأخرى وإن اختلفت فهو " العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية بعضها البعض، وهو الذي يسم الأشخاص والأحداث في العمق والمكان يلد السرد قبل أن تلده الأحداث الروائية وبشكل أعمق وأبعد أثرا " [94]. لذا فقد ظل عنصرا متميزا في العمل الأدبي يشد جوانبه ويكسبه دلالات اجتماعية ونفسية عميقة

---

[91] : إبراهيم جنداري: الفضاء الروائي عند جبر إبراهيم جبر، ص 167.

[92] : غاستون باشلار: جماليات المكان، دط، دار الجاحظ للنشر والتوزيع، بغداد، 1980، ص 07.

[93] : المرجع نفسه، ص169.

[94] : عبد العزيز شبيل: الفن الروائي عند غادة السمان،دط، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، 1987، ص 47.

ولا غرابة أن يقدم المكان وفق أحد الدارسين على أنه شخصية متماسكة، ومسافة مقاسه بالكلمات.

وعليه يمكن القول إن المكان لا يعد عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معان، بل إنه قد يكون بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله، فهو يختلف عن المكان الجغرافي لأن المكان الجغرافي لا يصل فيه الإنسان إلى أبعد الحقائق الموضوعية له، وهذا الأمر لا يبدو في ظل المكان الروائي الذي تعترض دراسته علينا استنتاج رؤية الروائي لعالمه ولأهم ما يرى أنه مشكلة الإنسان، لذا فإن تعامل الناقد مع دراسته للمكان لا يجسد صورة المكان الحقيقي ولا ينقل تصورات كاملة لماهيته التي أوجدتها الطبيعة لأن المكان في الرواية ليس هو المكان الطبيعي أو الموضوعي، إنما هو مكان يخلقة النص الروائي عن طريق الكلمات ويجعل منه شيئا خياليا، لأنها لا تضع ابتكارات جديدة وفضاءات جديدة معينة، إلا إذا أوجدت له منظورا جديدا ووزعت ظلاله وأضواءه ما يخددم استراتيجية الكتابة والقراءة معا، وأكثر من ذلك على حد تعبير " ميشيل ريمون " فإن كل رواية فيما يبدو لي لها نصيب معين أو تستحضر فضاءا معينا ما دامت تعبر عن فعل يتم في الوجود أو تقدم لنا حضورا ما في العالم وبهذا المعنى، فإن صلة الفضاء، ذلك أنه إذا تخلى المحكي عن الفضاء فإن السرد سيتحضره بصيغة أو بأخرى، بل إن المحكي هو القضاء بعينه "الفضاء الاستعاري " بامتياز [95] وفي الدراسات الروائية يعد المكان مقياسا مهما في تقديم العمل الأدبي فعندما يبتعد الفن عن احتواء المكان يكون فقد واعيته، لإذ لم يكن المكان يوما إلا حاجة فكرية لمعرفة مصداقية الفنان ولعله أحد المعايير التي يقيس الناقد به صدق الفنان أو كذبه، وفي أدبنا المحلي أصبح المكان أحد المؤشرات على إمكانية

[95] : حسن نجمي: شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، ط 1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000، ص 48.

استمرار الفنان مبدعا، ولربما أخطأنا الحساب عندما جعلنا المكان مقولة مشاعة للجميع في حين إنه لا ينهض إلا عبر المبدعين وما يعنيه، ولا توضع معالمه الفكرية إلا عبر من يفهم لغته الفنية وما تعنيه بالحاجة الفكرية أن المكان شأنه شأن أي عنصر من عناصر البناء الفني " [96] يتحدد عبر الممارسة الواعية للفنان، وهو ليس بناءا خارجا مرئيا، ولا بحيز مفرد المساحة ولا بترتيب من غرف ونوافذ، بل هو كيان من الفعل المغير والمحتوى على تاريخ ما ومضمضة أبعاده بتواريخ الضوء والظلمة.

وبناءا على ما تقدم ذكره وجب علينا أن نركز في تحليلنا على كل ما تحمله الوحدات المكانية من دلالات بداية نعرج إلى البيت ثم إلى أماكن أخرى:

البيت أو المنزل : ذو مكانة مهمة وذلك لإسهامه في إثراء العملية السردية، إضافة إلى تعميق دلالتها الفكرية والجمالية، إذ لا يمكن الاستغناء عنه، وإن حدث وانقطع الحديث عنه خلا النص الأدبي من رونقه وبهائه لأن كلمة منزل وحدها تضفي على الفن الأدبي جمالا فريدا من نوعه والعكس إذا حذف لفظ منزل من النص الروائي فالبيت باعتباره مكانا مغلقا يعتبر الملجأ الوحيد لكل شخص يقطن فيه وذلك بغض النظر عن طبيعة المنزل هل هو كبير، صغير، واسع، ضيقن قديم... ففي البيت أو بتعبير آخر ففي شكل فرد من الأفراد يشعر بالراحة النفسية والجسيمة على خلاف البيوت الأخرى التي ليست له، فإذا كان الفرد في النزل الخاص به يشعر براحة لا مثيل لها في بيوت الآخرين وفي هذا الصدد يقول " رينيه ويل " فإنك إذا وصفت الإنسان فالبيوت تعبر عن أصحابها، وهي تفعل الجو في نفوس الآخرين الذين يتوجب عليهم أن يعيشوا فيه " [97] فالبيت أو المنزل شعر فيه الفرد بالهدوء والاستقرار والسكينة وراحة البال بالإضافة إلى الدفء العائلي، فهو يمثل الملاذ والمفر والملجأ في كنف العائلة كذلك من

---

[96] : ياسين النصير: إشكالية المكان في النص الأدبي،دط، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986، ص08.

[97] : حسن بحراوي: تبين الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، دط، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1990، ص 43.

المنازل المذكورة في رواية قصر الشوق منزل صديق كمال حسين شداد حيث كان يزوره دائما فقد كان منزل حسين مقر الالتقاء حسين شداد وحسن سليم وإسماعيل وكمال وقد كان أعلى مستوى منه من الجهة المادية، حيث أغرم بأخته ولكنها رفضته وصدته ولم تقبل به زوجا لأنه ليس من مستواها الاجتماعي ولا يستطيع تلبية حاجاتها.

بيوت الخمر والشراب : ونجد الكاتب هنا يقول لفظة بيت وذلك لأن المسميات تختلف من الدار، الفيلا، الكوخ، الشقة، فمحفوظ هنا في فصل لفظة بيت وذلك لأن " الدار هي مكان للإقامة والنوم والاجتماع والسمر بينما البيت هو الإقامة ليلا فقط " [98] حيث يتبين لنا الوضع المأساوي لأحمد عبد الجواد الذي يكون في منزله الرجل المتدين الصالح الثابت على طاعة الله ورسوله ولا يترك فرضا إلا ويأديه، ومع البدايات الأولى لليل وبداية " نزول الظلام يتجه نحو بيوت الخمر والملاهي الليلية رفقة أصدقاءه الذين جروه نحوها بعد انعزاله عنها ما يقارب الخمس سنوات منذ وفاة إبنه من زوجته الأولى حيث كان يشرب بكثرة ويتبارون الأصدقاء فيما بينهم من هو الأكثر تحملا للشراب ومن هو الصاحب الذي يبقى مستيقظا ولا يغلبه التعب والنعاس وهكذا كانت حياة أحمد عبد الجواد في النهار : ذلك الرجل المنحرف ذو الأخلاق السيئة، وهو الصديق المرح الذي يسهر كل ليلة مع أصدقاءه الثلاثة، مع الخمر والمومسات والعاهرات مع العود والطرب وقد ورثه ابنه الأكبر ياسين في أخلاقه، فقد كان في نهاية العشرينات من عمره، لكن شهواني بكل تحمله شهواني من معنى، ولا يعرف في حياته سوى الخمر والنساء، ورث عن أمه بيتا في قصر الشوق وتزوج ثلاث مرات ثم انفصل عن الأولى والثانية وكانت إحدى زوجاته من صديقات والده.

[98] : شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، ط1، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، 1994، ص 142.

منزل صديق كمال : يعتبر البعض أن كمال هو بطل رواية قصر الشوق فمنذ بداية الرواية نشهد التحضير للاحتفال بنجاحه في الباكالوريا ثم نقاشه لوالده حول الكلية (في ذلك الزمان كانت شمس مدرسة) التي تنوي دخولها، ونشهد العديد من جلساته مع أصدقائه من منزل حسين شداد وقد كان أصدقاءه يفوقونه فكرا ومبدئيا وطبقة ومستوى ماديا ونشهد أيضا وقوعه في غرام عايدة حيث كانت تجالسهم في بعض الأوقات مع أختها الصغرى، وبعد زواج عايدة من صديق أختها حسن، حزن عليها لأنها لم تستلطفه يوما بل كانت تسخر منه دوما وقد كان صدره " كالقبر مؤقت فيه كل جماليات القبر، المساحة الضيقة، الظلام التام، النوم الثقيل، الانفصال عن العالم، الوحدة، السكون، العودة إلى الجواني الحساب والدود الذي يأكل الأجياد " [99].

ولكن رغم مشاعر كمال بقي يزور صديقه في منزله وقد كانت تدور عدة أحداث وجلسات عديدة يفرحون ويلعبون ويمرحون فيها.

[99] : شاكر النابلسي: جماليات المكان والرواية العربية، ص 315.

III. الشخصيات والنماذج الإنسانية :

إن الكاتب لا يسوق أفكاره وقضاياه عن محيطها الحيوي ولا يمكن أن نتصور أحداثا تقع دون أن يشارك في أداتها شخص أو أشخاص، فنجيب محفوظ يحاول من خلال الشخصيات داخل روايته – قصر الشوق– توضيح سمات وطبائع ومواقف وسلوكات اجتماعية إذ يصف هذه الشخصيات في حالتها النفسية والاجتماعية مما يضفي على الرواية بعدا واقعيا كبيرا، وقصر الشوق هي نموذج مصغر عن المجتمع الإنساني والمصري خاصة" فالشخصية هي المحور العام الرئيسي، الذي يتكفل بإبراز الحدث وعليها يكون العبء الأول في الإقناع بمدى أهمية القضية المشارة في القصة وقيمتها، وحتى أنه عرفت بعض الروايات، برواية الشخصية، وذلك لما تقدمة من وسائل فنية جديدة وتفرض على المتلقي من حيث الحركة والخلق المبتكر لها ومدى تلاحمها في النسيج العام للحكاية الروائية وما تقدمه من أفكار " [100]. ونلاحظ في هذه الرواية أنه لا يوجد بطل مطلق فكل شخصياتها أبطال يؤثرون في مجرى الأحداث ورغم هذا فالشخصيات تنقسم من حيث ارتباطها بالأحداث إلى شخصيات رئيسة وثانوية تضيء الجوانب الخفية أو المجهولة للشخصية الرئيسية وقد ركز نجيب محفوظ على بعض الشخصيات مثل كمال ولكن هذا الاهتمام لو يمنحه حق التفرد ببطولة الرواية، ولو يترك أي شخصية دون أن يصورها بكل جوانبها وخفاياها.

– فالسيد أحمد عبد الجواد يلعب دور الأب الصارم صاحب الهيبة والنفوذ الذي لا يرد له أمر حازم ويفرض أحكامه القاطعة، ورأيه الصارم الذي لا يتقبل المناقشة و سيطرته مطلقة على جميع أفراد آسرته وتشهد ذلك عندما كانت " أمينة تعد المائدة ثم ذهبت إلى حجرة السيد فدعته بصوتها الوديع،إلى تناول الفطور واتجهت إلى حجرة

[100] : نادر أحمد عبد الخالق: الشخصية الروائية بن على أحمد بكثير ونجيب الكيلاني، ط1،دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر،2009،ص40.

ياسين وكمال فكررت الدعوة واتخذ الثلاثة أماكنهم حول الصينية، وبسمل الأب وهو يتناول رغيفاه معلنا بدء الأكل، فتبعه ياسين ثم كمال، على حين وقفت الأم وقفتها التقليدية إلى جانب الصينية، وكان مظهر الأخوان يدل على الأدب والخشوع.... ولم يكن من النادر أن يدور حديث مقتضب بين الآكلين بعد أن كان الصمت يتحكم في مجلسهم تحكما مخيفا، إلا أن يسأل الأب أحدهم فيجيب بعجلة ولو بفم ممتلئ بالطعام "[101]. وهو لهم القدوة الحسنة، ومثال على الرجل الصالح الكامل الصفات ولهذه الشخصية وجه آخر محزن فهو في الخارج ذلك الشخص اللطيف البشوش الكريم الاجتماعي، وبين خلانه محدث ممتاز، يهزه الطرب فينبغي ويضرب الدف ويشرب الخمر ويقضي الليالي في شرب الخمر ومعاشرة البغايا ونشهد ذلك عندما " تربع أحمد الجواد في مجلسه وهو يجيد بصره في المكان والناس حتى التقت عيناه اتفاقا بعيني زنوبة فابتسمت الأعين تحية، قدم علي عبد الرحيم الدفعة الأول من الكأس، قال محمد عفت بصحتكم ومحبتكم، قالت جليلة: نخب عودة السيد أحمد، قالت زبيدة : نخب الهدايا بعد الضلال، قال أحمد: نخب الأحباء الذين فرق الحزن بيني وبينهم ....شربوا وعندما رفع السيد أحمد كأسه إلى شفتين رأى من فوق سفح الكأس وجه زنوبة مرفوعا كذلك إلى كأسه فهزته نظراته، قال محمد عفت لعلى عبد الرحيم: إملأ الثاني وقال له إبراهيم الفار، والثالث في أثره حتى نثبت الأساس...ووجد السيد أحمد عبد الجواد نفسه يتابع أنامل زنوبة وهي تربط الأوتار" وهو يحاول بكل ما آوتي من قوة أن يخفي هذا الوجه عن أفراد أسرته.

-أما الشخصية الثانية زوجته" أمينة " فهي تتسم بكل صفات ربة البيت في ذلك الزمان الجهل والخوف من الزوج والطاعة العمياء له واعتباره سيدها وعدم الجرأة على مواجهته بأخطائه أو حتى مجرد نصيحة فنجده عندما عاد من السهر في الليل هرع إلى

[101] : نجيب محفوظ: قصرالشوق،ج1، دط، مؤسسة الطاسيلي للنشر و التوزيع ، مصر ،1989، ص27.

الكنبة فتهالك عليها، ثم تلخص من عصاه وخلع طربوشه، وطرح قذاله على المسند مادا ساقيه إلى الأمام... في حين كانت أمينة تصنع المصباح على الخوان، ثم وقفت تترقب قيامه لتساعده في نزع ثيابه وهي تنظر إليه باهتمام مشوب بالقلق وتود لو تواتيها شجاعتها فتسأله أن يعفي نفسه من الدأب والسهر لكنها لم تدر كيف تفصح عن أفكارها الأسيفة ! ثم نزع الساعة الذهبية من قفطانه والخاتم الماسي فأودعهما داخل طربوشه، ثم نهض ليخلع جبته بمساعدة أمينة... ثم جلس على الكنبة مرة أخرى ومد ساقيه للمرأة التي تخلع الحذاء والجورب وجعلت تصب له الماء فيغسل رأسه ووجهه وعنقه ويتمضمض أما من الجانب الآخر فهي الأم الطيبة الحنونة والناصحة لأولادها فنجدها تنصح كمال وتقول له هذا هو العلم حقا، علم جدك، إنه أجل معلوم وفكرت قليلا وهو ينظر إليها من طرف خفي باسما، ثم عادت تقول نفس الحماس.

من ذا الذي يحتقر العلم يا ابني؟ لم يقولوا في الأمثال " من علمني حرفا صرت له عبدا؟".

-فقال: ولكنهم يقولون : إن العلم لاحظ له في المناصب الرفيعة!

-فلوحت بيدها باستهانة قائلة.

-إلى علم مرفوع الرزق، أليس كذلك؟ حسبك هذا، إني أسأل الله لك الصحة وطول العمر وصالح العلم كان جدك يقول : « إن العلم أعز من المال » [102] بالإضافة إلى رعاية شؤون منزلها إذ أنها في أعماقها تحب الثناء وكثيرا ما تعاني مرارة الحرمان منه لشعورها بالجهد الدائب الذي تبذله عن الحب وطواعيه في خدمة البيت وآله، وكثيرا ما نهمت إلى سماع كلمة طيبة من السيد ولكن السيد لم يكن من عادته أن يجود بالثناء عليها وإذا جاد ففي اقتضاب وفي أحوال نادرة لا تكاد تذكر.

[102] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ص27.

-أما ياسين فهو الابن الأكبر للسيد أحمد عبد الجواد فهو يحمل كل الاحترام لزوجة أبيه فهي أم ثانية له إذا أقبل ياسين على أمينة فشد يدها يقول:

لم أحدثك بما في نفسي طيلة الأسبوعين الماضيين، لأن مرض أبي لم يترك لي عقلا أفكر به، أما الآن وقد أمر الله بالسلامة فأود أن أعتذر عن رجوعي إلى البيت دون استئذانك، الحق أنك استقبلتني بالعطف الذي عهدته منك في الأيام السعيدة الخالية، ولكن على الآن أن أقدم فروض الاعتذار... [103].

كما أن ياسين رجل شهواني بكل ما في الكلمة من معنى لا يعرف في حياته سوى النساء والخمر وهذا كان سببا في عدم نجاح زواجه الأول. وقد حاول السيد أحمد عبد الجواد أن يصلح هذا الزواج لكن والدها رفض ذلك إذ أن السيد " شديد الرغبة في وصل ما انقطع من مصاهرة محمد عفت لمكانته من نفسه ومكانة أسرته من المجتمع، ولم يكن يطمع في أن يجد لياسين زوجة خيرا من زينب، ولكنه لم يسعه إلا التسليم بالهزيمة خاصة بعد أن صارحه الرجل بما يعلم عن حياة ياسين الخاصة، حتى قال له: « لا تقل لي أننا نحن أنفسنا لا نختلف عن ياسين، فالحق أننا نختلف بعض الشيء، والحق أني لا أرضى على زينب ما ارتضيت لأمها» " [104].

فهو قد ورث ذلك عن أبيه، فعاود ياسين الزواج مرة أخرى من جارته مريم، وهذا الزواج لم يكن له داع، سوى أنه رغب فيها وتمنعت وأبت إلا عن طريق الحلال ولنفس السبب الأول انفصل عنها ليتزوج عشيقة والده التي أخذها معه إلى بيته الذي تعيش فيه مريم في حالة سكر " ففتح عينيه فوجد نورا وضاءا يتراقص على الجدران، وثنى رقبته فلمح عند الباب مريم قابضة على مصباح قد جلا من وجهها ملامح عابسة

[103] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج1، ص 205.

[104] : المرجع نفسه، ص 12.

وعينان تتسعان شرر الغضب زائغة بالذهول من ناحية مستعرة بالغضب ومن الناحية الأخرى لم يعد الصمت مما يستطاع، أعربت زنوبة عن قلقها .

وقالت مريم :

في بيتي في بيتي...! في بيتي يا شيطان " [105] . فانصرفت مريم من البيت بعد أن جمعت عليه كل الجيران وطلقها وتزوج من زنوبة.

-وفي المقابل الإبن الأصغر " كمال " فهو نموذج الرجل الصالح والمثقف الذي يبحث عن القيم في عالم مضطرب تحيط به السلبيات من كل جهة، يؤمن بالعلم والتقدم ويصبح من عشاق الأدب والفكر ويدخل كلية المعلمين دون أن يؤثر والده عليه وتسيطر العزلة والتشاؤم على كمال بعد إخفاقه في تجربة حب عميق، جعلته يتحول جذريا ويذهب للخمارات فنجد كمال " يردد بصره بينه وبين إسماعيل، فقال الأخير باسما: إفعل كما أفعل، إبدأ بجرعة كبيرة، صحتك....

غير أنه اكتفى بحسوة وراح يتذوقها، ثم لبث يترقب... لكن عقله لم يطر كما كان يتوقع فتجرع جرعة كبيرة، ثم تناول قطعة من الجبن ليغر الطعم الغريب الذي انتشر فيه.

لاتتعجلني!

العجلة من الشيطان، المهم أن أترك مكانك وأنت على حال تمكنك ما الذي يريد؟ امرأة ممن استثرن تقززه ونفوره وهو مفيق فهل يحلي الشرب مرارة الإبتدال، كان يناضل الغريزة بالذين وعايدة، أما الأن فقد خلا للغريزة الجو، غير أن حافزا أخر لله غامرة هو أن يكتشف المرأة ذلك المخلوق الغامض الذي تنطوي عايدة نفسها تحت جنسه ولو كره... الأن يستطيع أن يقول أنه خرج من زنزانة الإستسلام ليخطو الخطوة

[105] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج 2، ص 78.

الأولى في طريق الخلاص وإن يكن طريقا مخمورا محفوفا بالشهوات والمكاره " [106] وهكذا دخل كمال عالما أخر غير الذي كان يعيشه.

-أما خديجة ابنة السيد أحمد عبد الجواد ربة بيت مثالية لديها هوس بالنظافة، فهي تعمد من طلوع الفجر إلى نزول الليل في المطبخ والحمام وفوق السطح وتعتني في وقت واحد بالأثاث والدجاج والأولاد وإلى جانب ذلك فهي حادة الطبع مع حماتها ففي العام الأول من زواج خديجة حدثت معركة كبيرة بينهما حول المطبخ وانتشر خبره وعلم به الجميع ما عدا أحمد عبد الجواد ولكن حماتها شكتها له وقالت له " منذ أول يوم لها في هذا البيت وهي تخاصمني بلا سبب وتخاطبني بأطول لسان عرفته في حياتي أي ... عابت إشراف على البيت وتنقض طهي ومازالت حتى انفصلت بشقتها عني فانشطر البيت الواحد بيتين، حتى الجارية سويدان حرمت عليها دخول شقتها لأنها جاريتي، وجاءت بخادمة خصوصية لها وحتى السطح على سعته ضيقته علي حتى اضطررت إلى نقل دواجني إلى الفناء " [107] وهي ليست حادة الطبع مع حماتها فقط بل مع زوجها أيضا لأنها حامية الطبع وسرعان ما تضيق حتى بالنصيحة الخالصة فقد بدأ " الشجار بالزوج هذه المرة وعلى غير المألوف، دخلت أمينة الشقة وهما يتجادلان في عنف حتى عجبت لما أهاج الرجل الطيب فدخلت بينهما بالسلام ثم عرفت سبب هذا كله، كانت معتزمة أن تنفض الشقة، ولكنه ظل نائما حتى التاسعة فأصرت على لإيقاظه حتى استيقظ غاضبا، وركبه عناد مفاجئ وأبى أن يغادر الفراش وسمعت والدته الزعق، فجاءت على عجل، وما لبثت النار أن اشتعلت ولم يكد هذا الشجار أن ينتهي حتى شب آخر بسبب أحمد الذي عاد من الطريق مطين الجلباب فضربته وأرادت أن يستحم من جديد" [108] .

---

[106] : نجيب محفوظ : قصر الشوق، ج2، ص 78.

[107] : المرجع نفسه، ص 78.

[108] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج1، ص 47- 48.

-أما عائشة أختها التي تعكسها في كل شيء جميلة كسولة جدا مسالمة مع زوجها وحماتها فهما كأم وبنت ولقد سارت الأمور بينهما على كل خير وهي محبوبة عند الجميع على عكس خديجة التي تصفها أنها " تسمع أو تستعرض نفسها في المرآة أو تحادث هذه أو تلك من صويحباتها من النافذة أو المشربية، ونعيمة وعثمان ومحمد يلعبون بالمقاعد والوسائد حتى أن عبد المنعم وأحمد إذا ضاقا برقابتي فرا إلى شقتها لينضموا إلى فرقة التخريب...!

وقالت عائشة:

حسبي أن جميع الجارات يحببنني وأن حماتي تحبني كذلك...

ردت : لا أتصور نفسي أفتح صدري لإحدى أولئك النسوة الثرثارات أما حماتك فتحب من يتملقها ويسجد لها.

-فقالت :... إنهن يخشينك و كثيرا ما قالت لي أختك لا ترحب بنا ثم مخاطبة أمها وهي تضحك... لا تزال تسمي الناس بأسماء هزلية، ثم تتندر بها في البيت فيحفظها عبد المنعم وأحمد ويردد أنها في الحارة بين الغلمان" [109].

-بالإضافة إلى بعض الشخصيات الثانوية " حسن سلين " وحسن شداد وإسماعيل المختلفون عن كمال استعملهم الكاتب ليبرر الجوانب الخفية لكمال إضافة إلى زبيدة العالمة وزنوبة كمثال عن المرأة العاهرة في المجتمع المصري إذ يستعملون شتى الطرق لإغراء الرجال ونلحظ ذلك عندما ذهب السيد أحمد عبد الجواد عند زنوبة " سمع وقع شبشب خفيف، ثم بدت زنوبة عند الباب في فستان أبيض منمنم بورد أحمر، ملتفحة بوشاح مرصع بالترتر، أما رأسها فحاسر، أما شعرها فمجدول في ضفيرتين غليظتين استرسلتها علي ظهرها... استقبلها واقفا باسما متفائلا

[109] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج1، ص 199.

بالزينة التي بدت فيها، فحيته بابتسامة " [110] . وقد وصف نجيب محفوظ مجلس العوامة التي استأجرها محمد عفت وخصصها لمجالس الغرام ووصف العوالم والمكان الذي يجلسون فيه " حجرة متوسطة الحجم، طليت جدرانها وسقفها بلون زهري، تطل على النيل بنافذتين وعلى الطريق بنافذتين وقد أغلق خصاص نوافذها وفتح زجاجها، يتدلى من سقفها مصباح كهربائي ذو غطاء مخروطي من البلور يرتكز نوره على سطح خوان توسطه الحجرة حاملا الأقداح وقوارير الويسكي، وقد فرشت الأرض ببساط متجانس اللون مع الجدران والسقف وقامت في كل جانب من حجرة كنبة كبيرة غشيت بغطاء مزركش أما الزوايا فقد احتلت بوسائد، جلست جليلة وزبيدة وزنوبة على الكنبة المجاورة للنيل، واقتعد الرجال الثلاثة على الكنبة المواجهة لها، بينما انتشرت على الشلة آلات الطرب والعود والدف والدربكة " [111] وهكذا كانت المجالس المحرمة والعوادات فنجيب محفوظ لم يأت بهذه الشخصيات بالصدفة، وبدون هدف لكن هناك من كل شخصية يريد أن يقدم بها مغزى في نفسه ويصل من خلالها إلى قول شيء لم يستطع أن يصرح به من خلال طموحاتها وأهدافها، إذ يركز في وصفه على الأشخاص الذين عرفهم بالفعل في حارته، فالشخصيات تكون أحيانا مستوحات من الواقع ليكشف من خلالها عن بعض الحقائق لأن للشخصية أهمية قصوى داخل العمل الروائي، فهي مرتبطة إلى حد كبير بعملية التطور الفني.

[110] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج1، ص 199.

[111] : المرجع نفسه، ص 94- 95.

IV. الأبعـــاد الاجتماعية :

1. التمسك بالدين والعقائد :

إن للدين دور كبير في مجتمع يسن قوانين حياته منه، ولذلك نجد أن نجيب محفوظ يلتفت إلى هذا الجانب من خلال القيم الدينية المغروسة فيه منذ القدم، فهو يستعمل الكثير من التعبيرات والعقائد الإسلامية والمفاهيم الإسلامية " فهو يفضل لفظ الصحابة على الحاشية " [112].

فنجده في قصر الشوق يركز على كمال الذي عاش في ظل عقيدتين متناقضتين كان دارسا للفلسفة ولكنه لم يعشها أو يتفاعل معها، وكان جزء عارض للآراء، وهذه الآراء كانت متناقضة في كثير من الأحوال ولمنه لم يشعر بغرابة هذا التناقض لأنه عزل عالمه الفكري وإن ادعى غير ذلك، فعيشه في ظل عقيدتين متناقضتين أمر عادي ككل فرد يعيش في بقاع الوطن العربي، فهو عاش عقيدتيه الدينية وهو صغير مجبرا ولكنه عاش الأخرى مختارا في مرحلة النضج العقلي الكامل فلم يعش ولم تتحول كلمته إلى فعل، فعرضه للأفكار المتناقضة إنما هو دليل ثقافته العالية وإيمانه بالحوار، وفي الوقت نفسه كانت عواطف الشك قد أخذت تهب على عقيدته الدينية نتيجة انغماسه في كتب العلم والفلسفة، وظهرت بوادرها في مقاله الأول عن أصل الإنسان قرد فهو لم يجد " الشجاعة للاعتراف لأبيه أنه أمن بالنظرية بصفتها حقيقة علمية، وأنها بهذه الصفة يمكن الاعتماد عليها في إنشاء فلسفة عامة للوجود خارج نطاق العلم " وبالمقابل نجد أن السيد أحمد عبد الجواد انزعج انزعاجا شديدا لأن ابنا من صلبه يقرر أن الإنسان سلالة حيوانية " فعلا صوت السيد وهو يتساءل:

---

[112] : مؤتمر النقد الدولي المعاصر: تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر، ص 141.

وآدم أبو البشر الذي خلقه الله من طين ونفخ فيه من روحه ماذا تقول عنه النظرية؟ وإذا كان أصل الإنسان قردا أو أي حيوان آخر فلم يكون آدم أبو البشر؟ " [113] إذ أنه يرى حقيقة لا شك فيها وهي أن الله خلق آدم من تراب وأن آدم هو أب البشر، كما هو مذكور في القرآن.

كما أن إيمان كمال بالدين وتعاليمه حالت بينه وبين تناول المحرم، عندما خرج مع حسين شداد وعايدة في رحلة إلى الأهرام رفض أن يشارك حبيبته وشقيقها في أكل لحم الخنزير وفي شرب البيرة، بينما هم جلسوا جميعا لتناول طعام الغداء " وفتحت عايدة سدادة الترموث وراحت تملأ الأكواب الأربعة فإذا بها تملئ بسائل أصفر كالذهب، فلم يملك كمال نفسه أن يسأل داهشا ما هذا؟

فضحكت عايدة ، فقل حسين بيرة...! بيرة؟ هتف كمال كالخائف وقال: ولحم الخنزير لا أصدق هذا" [114] .

وأفصحت عينا كمال عن الدهشة وانزعاج وانعقد لسانه فلم يدر ماذا يقول وكان أشد ما يزعجه أن هذا الطعام والشراب جهز في البيت، فعايدة وحسين شداد بعيدين كل البعد عن الدين الإسلامي فيشربون البيرة ويأكلون لحم الخنزير بلذة كما ينتهكون حرمة رمضان " فعايدة تصوم يوما واحدا من الشهر... وحسين يأكل في رمضان أربع وجبات يوميا، الوجبات الثلاث المعتادة ووجبة السحور ! ".

وقد تقلص قلب كمال لما رآه كونهم لم يكونوا كفارا " بل هم مسلمين!! ".

---

[113] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج1، ص 125.

[114] : المرجع نفسه، ص 232.

2. الجنـــس :

في قصر الشوق بدت علاقة الجنس الغير مشروعة أمر شبه عادي أو ضربا من النشاط الذي يمارسه بعض أبناء الطبقة الشعبية التي نالت حظا لا بأس به من المال فانصرف إلى الاستماع بلذائذ الحياة وشهوتها بصورة منتظمة، فكان أحمد عبد الجواد وأصدقاءه يذهبون كل مساء إلى مجالس الأنس والطرب ليتساقو كؤوس الخمر على أنغام الموسيقى والمغنيات أمثال جليلة وزبيدة وزنوبة التي لعبت بأوتار العود محدثة نغمة راقصة فاتجهت عينا السيد إليها مليا ثم قام ليملأ كأسه لنفسه، عادت زبيدة فجلست بين محمد عفت وأحمد عبد الجواد وهي تضرب الأخير علي سلسلة ظهره، على صوت جليلة وهي تغني وتهتف إبراهيم الفار بدوره: هنؤوني إشترك محمد عفت وزبيدة في الغناء واشتركت زنوبة في الأغنية فحاول السيد أحمد عبد الجواد النظر إليها وما يدري إلا وهو ينظم إلى المغنين، جاء صوت علي عبد الرحيم من ركن الحجرة مؤيدا، هتف إبراهيم الفار ورأيه لا يزال مسندا على كتف جليلة مغنون ستة ومستمع واحد هو أنا... قام إبراهيم الفار فجأة واندفع يرقص، وجعل الجميع يصفقون على الواحدة ويغنون" [115] .

إذ تحولت بيوت العوالم بمرور الزمن إلى أوكار للدعارة يلتمسن منها الرزق والقوت وقد يتلقى في أحدها الإخوان في وقت واحد كما حدث ذلك مع ياسين وكمال الذي ذهب ثملا إلي بيت إحدى العوادات دون أن يتردد ودخل دون استئذان وصعد السلم " وهناك مد بصره إلى الباب المغلق الذي بدا ضوء في ثقب مفتاح به ثم مال إلى حجرة انتظار فألقاها خالية وجلس على المقعد الخشبي مادا ساقيه في ارتياح، وبعد مرور دقائق سمع صرير الباب وهو يفتح فتوثب للقيام، وغادر الرجل الآخر الحجرة كما نمت عليه أقدامه متجها نحو السلم، فرأى وردة خلال باب حجرتها مفتوح وهي

[115] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج1، ص 102.

تعيد ترتيب الفراش، فلما لمحته ابتسمت له وهتفت به أن يعود إلى مجلسه دقيقة واحدة... ولم تكد تمر دقيقة على جلوسه حتى ترامي إليه وقع أقدام صاعدة فاستقبلها بضيف... وما لبث كمال أن سمع المرأة وهي تخاطب القادم قائلة برقة، عندي زبون فذهب إلى الحجرة وانتظر، ثم رفعت صوتها منادية كمال فقام كمال وغادر الحجرة، فالتقى بالقادم في الدهليز، وجد نفسه وجها لوجه مع ياسين ! التقت عيناهما على نظرة ذاهلة، وسرعان ما غض كمال جفنيه وهو يذوب خجلا " [116] . ولا يتوقف الحدث عن هذا الأمر فقط إذ أننا نجد أن ياسين تزوج من زنوبة عشيقة والده، دون أن يكون لهم سابق علم وقد وصف نجيب محفوظ زنوبة العالمة واكتفى بوصفها الجسدي الذي يثير الغريزة في الرجال " وأخيرا بدت زنوبة وقد انحصر طرف ملاءتها عند أعلى الرس عند منديل قرمزي ذي أهداب منمنة، لمعت تحته عينان سوداوان ضاحكتان، تنفث نظرتها لعب وشطينة، واقتربت من العربة ثم رفعت قدما إلى أعلى العجلة فأشار أب ياسين بعينه وهو يزدرد ريقه " [117] . كما نجد في الرواية صنفا آخر من النساء لم يحيني حياة العوالم، ولكنهن انحدرن إلى هاوية السقوط الجنسي بتأثير الغريزة الكامنة في أعماقهن وحتي وصلت بهن إلى الشذوذ الجنسي " كابهيجة" التي حاولت أن تغوي السيد عبد الجواد وبعض الرجال في الجزء الأول من الثلاثية بعد وفاة زوجها فقد أعجبت بياسين الذي ذهب لخطبة ابنتها مريم " وفجأة امتدت يدها إلى خمارها فنزعته من حول رأسها وعنقها وهي تقول كالمعتذرة " الجو حار " فبدا رأسها في منديل برتقالي وأسفر عنقها الوضيء، رنا إلى عنقها مليا في قلق متزايد، ثم لحظ الباب كالمتسائل عمن عسى أن يكون وراءه ... أعيثوا الذي جاء يخطب البنت فوقع في الأم وقال ردا على اعتذارها خذي راحتك أنت في بيتك...

---

[116] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج2، ص 154.

[117] : عود الله منيع القيسي: نجيب محفوظ، ص 120..

وداعا يا عقلي خاطب بنتك يريدك وأنت تريدينه، ليرحم الله من يحسنون الظن بالنساء لا يمكن أن يكون في رأس هذه المرأة عقل، جارة العمر ولا تعرفها إلا اليوم !... مجنونة مراهقة في الخمسين.

فسألها بخبث، ترى هل أطمع في زيارة؟

فابتسمت ابتسامة عريضة كأنها تقول " إني أراك ما وراء هذه الدعوة " [118] .

فقام ياسين ووصف لها بيته في الحارة وموضع شقته من البيت وهي صامتة لأنها وجدت المكان المناسب لتشبع غريزتها، وقد عرف بيت قصر الشوق بهيجة زائرة ومواظبة، كلما انتشر الظلام تمضي إليه وهناك تجده في انتظارها " بالحجرة الوحيدة المفروشة في الشقة... واستقبلا معا حياة حافلة بالمتع ووجد ياسين ذات الكنزتين بين يديه، فانطلق كالجواد الجامح ولم تكن الحجرة التي أثثت على عجل واقتصاد بالمكان الصالح لمطارحة الغرام، ولكنه لم يأل عن تهيئة الجو الخلاب بتوفير الطعام والشراب حتى يطلب له الوصال فيواصل صولاته بذلك النهم الغريزي الذي لا يعرف حدا أو اعتدالا، وما لبث أن أدركه الملل قبل أن يتم الأسبوع الأول دورته وهي نفس الحلقة التي تدور فيها شهوته حتى غدا الدواء نوعا من الداء بيده أنه لم يأخذ على تلك العلاقة من بادئ الأمر ولا قدر لها أي دوام " [119] . فياسين هو شخص لا يعرف سوى الجنس وشرب الخمر الذي كان سببا في فشل كل تجاربه في الزواج.

---

[118] : نجيب محفوظ : قصر الشوق، ج1، ص 156– 157.

[119] : المرجع نفسه، ص 157.

3. ازدواجية السلوك :

وهي تناقض مسلك الفرد في حياته الخاصة مع ما يبدو عليه أمام الآخرين فهو يجمع في ذاته سلوكين متباينين، أحدهما يتسم بالسمو والنبل والاستقامة، ويتصف الآخر بعكس هذه الصفات، وهو بالأول يحاول نيل رضا المجتمع، " وإظهار احترامه لقيمه وتقاليده، على حين هو في الآخر يصدر عن نفسه الحقيقة دون زيف أو انفعال فهو أشبه ما يكون بالعملة الزائفة التي يتألف جوهرها من معدن غير نقي لكنها براقة القشرة خداعة الطلاء " [120]. وأحمد عبد الجواد نموذج واضح لازدواجية الشخصية، فهو يبدو أمام زوجته وأبنائه مثال للأب الصارم الذي يتحلى بالوقار والهيبة والنفوذ والاستقامة، ولا يتجرأ أحد منهم أن يرفع صوته في حضرته أو يكسر رهبة السمو الذي يفرضه على البيت حين يحل فيه، وعند مناقشته لكمال عن المدرسة التي ينوي أن يلتحق بها " وكان السيد أحمد عبد الجواد متربعا على الكنبة بحجرة نومه، على حين جلس كمال على طرفها المواجه للباب شابكا ذراعيه على حجره يكتنفه الأدب والطاعة" [121] وهذا مثال على الطاعة التي يحملها له أفراد أسرته، ولكن ما إن يحل المساء حتى يخلع رداء الوقار والجلال، ويرتدي رداء الانبساط والتحلل ويلتقي بأصدقائه في مجالس الأنس والطرب، حيث كؤوس الخمر وأنغام العود وضربات الدف، ثم السهر مع العوالم.

---

[120] : شفيع السيد: اتجاهات الرواية العربية، ص 131.

[121] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج1، ص 59.

4. الاختلاف في الانتماء السياسي :

بعد ظهور الأحزاب السياسية في مصر اتسعت دائرة التفكير السياسي وكل حزب لم يستطع أن يستقطب كل فئات الشعب، وقد قدم نجيب محفوظ في " قصر الشوق " نماذج لكل فئة متمثلة في كمال وأصدقائه حسن سليم وحسين شداد وإسماعيل لطيف فعلى الرغم من رابطة الصداقة الحميمية التي تجمعهم إلا أنهم يختلفون من حيث منازعتهم، فكمال يعبر عن موقف طبقة الشعب التي تقدس سعد زغلول " وهو لا يرى في الأحرار الدستوريين إلا خونة أو انجليز مطربشين " [122] أما حسن سليم فكان على نقيض ذلك فهو يرى سعد زغلول مهرجا شعبيا ويسخر من سياستهن إذ ينتمي في فكره السياسي إلى حزب الأحرار الدستوريين بحكم نشأته في بيت من بيوت مصر العالية آنذاك، فهو بيت والده المستشار سليم (سليم بك) وبيت كمال الشاب مثله يتبع والده وهو من جيل قديم في انحرافه السياسي ويخاطب حسن كمال بسخرية: " أن الأمم تحيا وتتقدم بالعقول والحكمة والسياسة والسواعد، لا بالخطب والتهريج الشعبي الرخيص " [123] وقصد بكلامه سعد زغلول، في حين يمجد عدلي وثروت ومحمد محمود الدستوريين ويراهم من العظماء الذين يؤثرون العمل في صمت ويحققون للوطن الفائدة الوحيدة التي جناها في تاريخه الحديث.

أما حسين شداد فهو رمز " للأستقراط الذين كانوا يؤثرون الإخلاد إلى راحة النفس ورغد العيش، بعيد عن العظماء الذين يؤثرون العمل في صمت ويحققون للوطن الفائدة الوحيدة، بعيدا عن المعارك السياسية وما تجلبه من متاعب تعكر صفو الحياة فهو محايد، لامع الوفدين ولامع الدستورين ويرى بأن السياسة تفسد القلب والفكر ولا يثق في رجال السياسة يؤكد "، سعد وعدلي ما أسخف هذا الكلام، على أنه إذا كان سعد

---

[122] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج1، ص 184.

[123] : المرجع نفسه، ص 185.

وعدلي عندي في الناحية السياسية فإنني لا أراهما كذلك وجلين، إذ لا يمكنني أن أتجاهل ما يمتاز به عدلي أنه كريم الأصل وعظيم الثقافة أما سعد – وإياك أن تغضب– فما هو إلا زهري قديم " [124] ويراهم يسعدون بكل الوسائل لحمل الألقاب والحصول عليها.

أما إسماعيل لطيف فإنه يستقبل الصراع السياسي بين الوفد والأحرار الدستوريين بسخرية وتهكم مبلور موقفه في أن يتعب نفسه في الكلام عن إصلاح البلد كالنافخ في قربة مثقوبة.

5. المـــرض :

بقي السيد أحمد عبد الجواد يزور عوامة محمد عفت – المجلس المحرم – عند أصدقائه الثلاث الذين يشاطروه مجمل المودة والوفاء ويشرب الخمر ورغم مرضه يضغط الدم فيقول لزبيدة العالمة "

-أما سمعت بما قال الطبيب؟

-فقالت: أخبرني محمد عفت، ولكن ما هذا الضغط الذي يتهمك به؟

-لف حول ذراعي قربة غريبة، وراح ينفخ بمنفاخ جلدي، ثم قال لي " عندك ضغط"[125].

-لكنهم لم يأبهوا بذلك واعتبروا ذلك شيئا هينا وبقوا طيلة الوقت يسخرون من الطبيب ونصحوه بعدم السماح له وقالوا " كل واشرب بالهناء والشفاء، الإنسان طبيب نفسه، وربنا هو الطبيب... وقالت جليلة: أنا لا أومن بالأطباء، ولكن أقيم لهم العذر فيما يقولون ويفعلون فهم يعيشون مع الأمراض كما نعيش نحن العوالم مع الأفراح، ولا

[124] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج2، ص 187.

[125] : المرجع نفسه، ص 59.

عناء لهم عن القربة والمنفاخ والأوامر والنواهي كما لا عناء عن الدف والعود والأغاني "[126]. وفي نشرة غامرة راح جسد أحمد عبد الجواد يرتقص مع النغمة رافعا الكأس التي لم يتبق فيها إلا الثمالة ناظرا إلى المرأة كأنما يريد أن يراها بمنظار جدري، وبينما هو في هذه الحالة حتى أغميت عليه فأخذه أصدقاء إلى بيته وأخذوا الطبيب، فكان يزوره يوميا، فملك الرعب الأسرة كلها خوفا عليه، فالطبيب لم يسمع لأحد بمقابلته، وحتى الأبناء كانوا يتسللون إلى الحجرة على أصابع أطرافهم متفحصين وجهه واستسلامه إذ قال الطبيب أنها " أزمة ضغط " وحجم النزيف فملأ طستا من دمه ثم أسود كما قالت خديجة في وصفه وجوارها ترتعش،وكانت أمينة تعود من الحجرة بين الحين والحين كالشبح يهيم على وجهه، على حين بدا كمال ذاهلا كأنما يتساءل كيف تقع هذه الأمور الخطيرة في أقل من غمضة عين، وكيف استسلم الرجل الجبار ، ثم يسترق نظرة إلى شبح أمه، أو عيني خديجة الدامعتين أو وجه عائشة الشاحب ويتسائل مرة أخرى ماذا يعني هذا كله؟ ووجد نفسه تنساق وهو لا يدري إلى تصور النهاية التي يخافها قلبه، تصور عالما لا يوجد فيه أب، فضاق قلبه وجزع صدره، وياسين رغم أنه منقطع عن البيت ويعيش وحده في قصر الشوق لكنه لم علم بالحادث في اليوم التالي لوقوعه جاء للبيت لأول مرة عند مغادرته بعد زواجه من مريم لرؤية والده وعند استيقاظ أحمد عبد الجواد سأل عن أصدقائه الذين كانوا يزورونه رغم أن الطبيب منع من مقابلتهن وعند مرور الأزمة بسلام فاستردت الأسرة أنفاسها ولهجة قلوبها بالشكر " فكانت أسرته أول من احتفل بهذا اليوم فزاره أبناؤه وأصهاره وتحدثوا إليه لأول مرة منذ الرقاد، وقلب الرجل عينيه في وجوههم – ياسين خديجة وعائشة وإبراهيم شوكت وخليل شوكت – وراح بلباقة – التي لم تخنه في موقفه هذا – يسأل عن الأطفال رضوان وعبد المنعم وأحمد ونعيمة وعثمان ومحمد، فقالوا له: إنهم لم

[126] : نجيب محفوظ : قصر الشوق، ج2، ص 197– 198.

يجيؤوا بهم حرصا على راحته ودعوا له بطول العمر وتمام الصحة والعافية، ثم حدثوه عن حزنهم لما ألم به وسرورهم بسلامته، تكلمت خديجة بصوت متهدج، وتركت عائشة على يده وهي تقبلها دمعة تغني عن كل بيان، أما ياسين فقال بزلاقة لسان: إنه مرض معه حين مرض وبرئ معه حين من الله عليه بالشفاء فتلطلق وجه الرجل الشاحب بالبشر، وحدثهم طويلا عن قضاء الله ورحمته ولطفه وعلى المؤمن أن يواجه مصيره بالصبر والإيمان متوكلا على الله وحده " [127] وبعد ذلك غادروا الحجرة مخلين الصالة لمرور الزائرين حيث تتابع العوادة من الأصدقاء الكثيرين الذين امتلأت بهم حياة الأب موظفين وعاملين وأعيان وتجار حتى كانت منهم قلة لم تجئ البيت من قبل وآخرون لم يأتوا إلا مدعوين لبعض الولائم التي يولمها السيد في المناسبات " أما التيار العواد فلم ينقطع وقد جاء جميل الحمزاوي بعد أن أغلق الدكان وتبعه غنيم حميد وصاحب معطرة الجمالية ثم محمد اللعجمي بائع الكسكس في الصالحية، وإذا بعائشة تهتف وهي تشير إلى الطريق من وراء النافذة:

-الشيخ متولي عبد الصمد! ترى أيستطيع أن يصعد إلى الدور الفوقاني؟! وراح الشيخ يقطع الفناء متوكئا على عصاه متنحنحا – من حين إلى آخر – لينبه من في طريقه إلى حضوره... وجاء شاب ضرير ذو نضارة سوداء يجره من يده رجل من أهل البلد رافلا في معطف أسود طويل يبرز من تحت طرفه جلباب... فالشاب الضرير فكان عبده عازف القانون بتخت زبيدة، وأما الآخر فهو مشهور بوجهة البركة ويدعى الهمايوني" [128] وقد كانت كل من خديجة وعائشة وأمينة في المطبخ يحضورن القهوة للزائرين فقد كان يلزمهم قهواجي ليقدم القهوة لهم، ووصف نجيب محفوظ مجلس السيد أحمد عبد الجواد إذ كان جالسا في فراشه مسند على الظهر على وسادة منكسرة ساحبا

[127] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج2، ص 205.

[128] : المرجع نفسه، ص 208– 209.

الغطاء حتى عنقه، على حين جلس العواد على الكنبة والكرسي التي أحدقت بالفراش، وبدا سعيد رغم ضعفه، ولم يكن يسعده شيء كالتفاف الأصدقاء حوله وأخذ يقص عليهم ما تلاقى من الألم، وأخبره محمد عفت أن جليلة وزبيدة وددوا لو أنهم يزورونه حتى أنهم قطعوا وعدا على أنهم لن يذوقوا الخمر حتى يتعافى " ولولا أنهما أشفقا عليه من العواقب الغير متوقعة لزاروك فأرسلتني وقالت لي قل له : وتنحنح مرة ومرة، وغني بصوت خافت:

أمانه يا رايح يمه تبوس الحلو من فمه

وقل له عبدك المغرم ذليل

فابتسم الهمايوني كاشفا عن طاقم ذهبي وقال:

نعم الدواء جرب هذا ولا تلق بالا إلا ولي الله المتنبئ بالمشانق " [129]

وبقي أصدقائه يزورونه حتى شفي تماما وخرج إلى دكانه ليعمل، فإذا كان المرض بلاه بالشر فإنه لم بنكر حسنة فيها وجد من جزع أحزانهم لما أصابه، وتحسرهم على غيابه ومدى إحساسهم بالوحشة في مجالسهم أثناء اعتكافة، فكان سعيدا بأصدقائه ووقوفهم معه في وقت الشدة.

[129] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج2، ص 215.

6. الاحتفال بالباكالوريا :

بعد أن كبر كمال وبلغ طور المراهقة ونال شهادة البكالوريا أقامت العائلة احتفالا بهذا النجاح، ففي الصباح الباكر نهضت أم حنفي وأمينة من أجل التحضير للحفلة من حلويات والمأكولات فمع " صياح الديكة كانت أم حنفي مكبة على جرة العجين بجسدها اللحيم يلوح وجهها ريان على ضوء المصباح المنبعث من فوق سطح الفرن لم ينل الكبر من شعرها ولا شحمها ولكن شابت ملامحها جهامة وأحشو شنت قسماتها، وإلى يمينها قعدت أمينة على كرسي المطبخ تفرش ألواح العجين بالردة استعدادا "لاستقبال الأقراص، تواصل العمل – في صمت – حتى توقفت أم حنفي عن العجين فاستخرجت يدها من الجرة ومسحت على جبينها المبتل بالعرق ببطن مرفقها، ثم لوحت بقبضتها المغطاة بالعجين كقفاز ملاكمة أبيض وقالت:

-أمامك ياستي يوم شاق ولكنه لذيذ كثر الله من أيام السرور.

-فعمعمت أمينة .

-فابتسمت أم حنفي وهي تومئ بذقنها إلى سيدتها قائلة:

-البركة في المعلمه.

-ثم غرست يدها في الجرة مرة أخرى وعادت ملاكمة العجين ووردت لو قنعناها بتوزيع التبريد على فقراء الحسين " [130].

-كما اعتنى السيد أحمد عبد الجواد بالمدعوين فأخلى لهم النصف الأول من النهار كله وتوسط مائدة الوليمة التي ضمت إبراهيم شوكت وخليل شوكت وياسين وكمال ثم دعاهم إلى حجرة نومه على جلسة عائلية يتسامرون في جو من المودة والمؤانسة، وإن لم يخل من ناحية السيد وتأدب من ناحية صهرية، وبعد ذلك دعي الأطفال إلى حجرة

[130] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج1، ص 215.

نومه" ليتلقوا الهدايا النفيسة من الشوكولاطة والملبن فيتقدموا إليه بترتيب أسنانهم: نعيمة بنت عائشة أولا فرضوان ابن ياسين، فعبد المنعم بن خديجة، فعثمان بن عائشة، فأحمد بن خديجة ثم محمد بن عائشة، راعي السيد المساواة المطلقة في توزيع عطفه وابتسامته على أحفاده، منتهزا فرصة خلو الحجرة من المراقبين ليتخفف بعض الشيء من تحفظه المأثور، فهز الأيدي الصغيرة بترحاب وقرص الخدود الموردة بحنان، ولثم الجباه وهو يداعب هذا ويمازح ذاك وظل مراعيا المساواة " [131]

وبعد أن انتهى من توزيع الشوكولاطة والملبن وقبل العصر غادر السيد أحمد عبد الجواد الدكان، فبقية أفراد الأسرة في الصالة بكامل حريتهم حيث " ورثت صالة الدور الأعلى أختها بالدور المهجور، ففرشت بحصيرتها وكنباتها، وعلق بسقفها الفانوس الكبير، فغدت مجلسا ومقهي لمن تبقى من الأسرة في البيت القديم... فتعالت الأصوات والضحكات ودبت فيها الحركة فتربعت أمينة على كنبة أمام أدوات القهوة، وعلى الأخرى المقابلة لها جلست خديجة وعائشة،وعلى ثالثة جانبية قعد ياسين زكمال، وما لبث أن انضم إليهم إبراهيم شوكت وخليل شوكت، فجلس إبراهيم إلى يمين حماته وخليل إلى يساره " [132] وأخذ إبراهيم يمدح أمينة على الطعام الذي قدمته وبقي أفراد الأسرة يتبادلون الكلام فيما بينهم عن الطبخ والدراسة والجمال وغيرها من المواضيع وهكذا كانت لمة العائلة احتفالا ببكالورية كمال.

[131] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج1، ص 34.

[132] : المرجع نفسه، ص 215.

7. الــزواج :

إن الزواج من الأمورالاساسية في الدين الإسلامي ونشهد في الرواية احتفالا بزواج حسن سليم من عايدة، فعندما تلقى كمال خبر خطبة حبيبته من صديقه حسن سليم خفق قلبه خفقة عنيفة وحزن حزنا شديدا ولكن رغم ذلك قدم التهاني له، لأنه لم يحضر حفل الخطوبة لأنه لم يكن هناك حفل لا كبير ولا صغير، فقد اقتصر الجمع على الأهل خاصة، ودعي حسين شداد كل من كمال وإسماعيل لطيف إلى يوم الكتاب.

وعلى الرغم من حزن كمال إلا أنه لبى الدعوة وحضرة حفل الزفاف وقد كان قصر آل شداد في زي جديد من أزياء الحياة، أنيرت فيه الأنوار حتى غمرته، حتى يضن الرائي أنه يحج إلى مملكة النور " فكان كل موضع من جدرانه يتقلد عقدا من اللألئ المضيئة ...

مصابيح كهربائية مختلفة الألوان تومض فوق رقعة جسده من أعلى السطح إلى أسفل الجدار، كذلك السور الكبير والباب الضخم كذلك أشجار الحديقة بدت كأنما استحالة أزهارها وأثمارها أنوار حمرا وخضرا وبيضا، ومن النوافذ جميعا انبعثت الأضواء فكل شيء يهتف مؤذنا بالفرح... وازدحم الطور المواجه لمدخل البيت بالغلمان، وفرش المدخل برمل فاقع لونه كالذهب،ه وفتح الباب على مصرعيه، كذلك باب السلاملك فلاحت في داخله نجفة كبيرة في سقف البهو المعد لاستقبال المدعوين، على حين امتلأت الشرفة العليا الكبيرة بمجموعة وضيئة من الغير في ثياب السهرة البهيجة ووقف شداد بك وجماعة من رجال الأسرة في السلاملك يستقبلون الوافدين[133].

[133] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج2، ص 91.

وقد أقبل كمال بكامل زينته مع المقبلين من المعزومين فقد كانوا معظمهم باشوات ورجال الأحزاب، فقد دعي شداد بك الأحرار والوطنيين.

ومن بينهم " فتح الله بركات، وأحمد الباسل، وثورت وإسماعيل صدقي وعبد العزيز فهمي" [134] .

وقد كانت هذه الحفلة رغم الحاضرين الكبار تمضي بدون مطرب ولا مطربة فهم ينظرون إلى تقاليد الأفراح بازدراء ولا يسمحون لعالمه أن تحي حفلة في بيتهم ولا يعترفون بمطرب من المطربين ولكنهم يحضرون عازف الأوركسترا جميعا بعد العشاء ليطرب الكبراء " فقد تلاقت آلات الأوركسترا جميعها في حركة متدفقة سريعة أعلنت عما في كل آلة من مرونة وقوة، كأنما تشترك كلها في سياق عنيف بات الهدف منه من مرمى العين ومتناول الطموح، فسما بهما اللحن إلى ذروته العليا، تلك الذروة التي توحي بتداني الختام " [135] .

وقبل أن يعقد القران بدأت الحفلة بتلاوة سورة من القرآن على سبيل البركة وقد كان النساء يزغردن على عايدة وكان كمال كلما سمع ذلك انقبظ قلبه " وإذا بالصمت يشمل البيت حتى استحالة نورا بلا زغاريد، ثم تلعلعت زغرودة طويلة مجلجلة ... زغردة كتلك الزغاريد التي عرفها من قبل، ثم تبعتها زغاريد مجتمعة كالصواريخ، لشد ما يبدو وهذا القصر الليلة كأي بيت من بيوت القاهرة " [136]

وبعد هذه الزغاريد جاء رجل يحمل أكواب الشربات ثم تتبعه آخر يحمل صينية محملة بعلب الحلوى الفاخرة " وعلبة من البلور على قوائم أربعة مذهبة، مموه

---

[134] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج1، ص 93.

[135] : المرجع نفسه، ص 96.

[136] : المرجع نفسه، ص98.

زجاجها الكحلي بزخارف فضية، وقد انعقد عليها شريط أخضر من الحرير سجل على لافتة هلالية في عقدته الحرفان الأولان لإسمي العروسين « ع. ح ».

وبعد توزيع الحلوى ذهب الأصدقاء الثلاث إلى حجرة جانبية والتحق بهم الشبان بعضهم من أقرباء آل شداد والبعض من أصدقاء المدرسة من أجل تناول الطعام، فاندفعوا بشدة على شتى ألوان الطعام التي ملأت المائدة مع زجاجات الخمر، وبعد انصرافهم عن الموائد عادت الأكثرية إلى مجالس اللهو وانطلق الكثيرون إلى الحديقة يتمشون ثم انصرف بعد ذلك المدعوين، أما الأهل فصعدوا ليقدموا التهاني للعروسين وفي اليوم الثاني يسافرون إلى بروكسل في شهر العسل.

وهذا الاحتفال يختلف عن تقاليد أفراح الطبقة الفقيرة وقد استعمل نجيب محفوظ زواج ياسين من مريم كمثال عن ذلك فقد كان حفلا بسيطا إذ اقتصر الحضور على الأهل " فعندما جاء يوم الخميس، ذهب السيد أحمد عبد الجواد إلى بيت المرحوم محمد رضوان، حيث وجد ياسين وكمال – الذي سبقه إليه – في استقباله ثم لحق بهم بعد قليل إبراهيم شوكت وخليل شوكت مصحوبين بخديجة وعائشة، ولم يكن في بيت آل مريم سوى بعض النساء " [137].

أما ياسين أخذ كامل زينته رغم تواضع الحفل المقام لزواجه، وقد ذهبت كل من أختيه خديجة وعائشة التقيا بالعروس وتبادلن القبلات والتهاني وتحدثن طويلا، وبعد ذلك جاء المأزون في مطلع المساء ثم عقد الزواج وأحضرت أكواب الشربات وانطلقت زغرودة واحدة تحفظا بظروف العروسين كونهما ثاني زواج لهما، وبعد ذلك " تلقى ياسين التهاني والدعوات الصالحات ودعيت العروس إلى مقابلة سيدها الكبير وآل زوجها فجاءت محاطة بأمها وخديجة وعائشة وقبلت يده وصافحت الآخرين وعند ذلك قدم السيد لها هدية الزواج أسورة ذهبية ذات فصوص دقيقة من الماس والزمرد،

[137] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج1، ص 98.

واستمرت الجلسة العائلية وقتا غير قصير وحوالي التاسعة أخذ الحاضرون بالانصراف تباعا، ثم جاء حنطور فحمل العروسين إلى بيت ياسين بقصر الشوق الذي جهز دوره الثالث لاستقبال العروسين [138] . فهناك اختلاف كبير بين زواج الطبقة الراقية والطبقة الفقيرة من موسيقى وأنواع الحلويات والمشروبات، فعند بيت آل شداد يقدمون الخمر أما عائلة السيد أحمد عبد الجواد فهي متحفظة اقتصرت على الشاربات.

[138] : نجيب محفوظ: قصر الشوق، ج2، ص207.

خاتمـــــة

خاتمـــــة :

بعد دراستنا للرواية العربية التي تصور الواقع العربي وهمومه على مستوى الطبقات الاجتماعية، والتي يستعملها الأديب وعاءا يصب فيه إبداعه، فتتحرك فيها الحياة وتتمثل فيها عناصر القوة والجمال.

استخلصنا أن هناك صلة كبيرة بين الأدب والمجتمع لأنها تدرس الإنسان بوصفه أنموذجا لطبقة من الطبقات الاجتماعية ويعبر عن اتجاهاتها الفكرية ومثلها وتتناول الرواية فيه مشكلات المجتمع وقضاياه، فالكاتب له دور الحارس لحماية ذاكرة الأمة والدفاع عن تراثها وروحها كما يلعب دور المؤرخ لأن كتاباته تشمل مكونات التاريخ التراثية التي لا تزال تعيش في وجدان الناس.

الملاحظ أن الأوضاع الاجتماعية والسياسية كانت مادة للأعمال الروائية ولكتابها، فصاغوا منها أعمالهم، وصوروا الطبقة الشعبية بمختلف مستوياتها وهمومها وقضاياها.

ولا جدل أن نجيب محفوظ في روايته – قصر الشوق – قدم صورا لهموم شريحة اجتماعية تشغل مساحة كبيرة في خريطة المجتمع المصري، وهي الطبقة الشعبية التي سجل حياتها وكشف عن مظاهر انحلالها وانحرافها.

وبذلك نبه القارئ إلى الداء وأسبابه وترك له اختيار الطريق الملائم فهدفه إيجابي من الشخصية التي يرسمها سلبية السلوك والاتجاه في رواياته والكاتب الإيجابي هو الذي يفتح عيون الطبقات على مشكلاتها وذلك عن طريق تجسيم هذه المشكلات بأي أسلوب يستطيع من خلاله أن يصيب هذه المشكلة في نفوس قراءه.

وقد ركز نجيب محفوظ على قوانين الوراثة التي تحكم الإنسان وضغط البيئة الاجتماعية التي تؤثر على سلوك الفرد ولم يقتصر في واقعيته على الوصف المادي للأحداث والشخصيات والاكتفاء بعرضها من الخارج فقط بل ينفذ إلى أعماقها وبواطنها،

ويقدم شخصيات نامية ومتطورة يزيدها تولي الأحداث وضوحا وتميزا ففي البداية يذكر المكونات الأولى للشخصية ثم يترك المجال بعد ذلك متاحا لنموها وتفاعلها مع المواقف والأحداث التي تظهر أفكارها ومشاعرها ومزاجها النفسي سواء في الجد أو الهزل.

وقد تبين لنا أن الرواية هي أنموذجا لحياة أسرة صورها نجيب محفوظ تصويرا واقعيا نابضا بالحياة متتبعا حياة أفرادها جميعا في أفكارهم وطباعتهم وتقاليدهم وعلاقاتهم الاجتماعية بالآخرين ومدى تأثرهم بمرور الزمن واستجابتهم لتغيرات العصر.

ونجيب محفوظ استطاع من خلال نهجه الواقعي أن يفتح عيون المجتمع على أمراضه ومشكلاته وأثار لدى أبناءه الرغبة القوية في علاج هذه الأمراض والمشكلات واستئصالها، فالرواية ما هي إلا تعبير عن المجتمع ومشكلاته الواقعية وتمثل موقف الأديب منه فهو يعبر عن تجربته وفهمه للحياة.

وفي الأخير نتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى الأستاذة المشرفة "بوقاسة فاطمة" التي ساعدتنا في إنجاز هذا البحث وإلى الأستاذ "بوعجاجة" وإلى الأستاذة "شاقور غزالة".

ونتمنى أن نكون قد استوفينا وألممنا بجميع جوانب هذا العرض وأن نكون قد شاركنا ولو جزء صغير في الغوص في أعماق تجربة هذا الأديب والاستفادة والإفادة منه ونسأل الله أن يغفر لنا زلل القول وخطأ العمل إنه ولي حميد.

ملحـــــق

I. السيرة الذاتية لنجيب محفوظ.

II. ملخص الرواية.

تعلمـــه وثقافتـــه :

في الرابعة من عمره، ألف وستمائة وخمسة عشر ذهب إلى كتاب الشيخ بحيري، وكان يقع في حارة الكبابحي بالقرب من درب قرمز، والتحق بمدرسة بين القصرين الابتدائية، وانتقل في المرحلة الثانوية، إلى مدرسة فؤاد الأول التي حصل فيها على شهادة البكالوريا، وبعد أن تحصل عليها التحق بكلية الآداب قسم الفلسفة وفي هذه الفترة بدأت قراءات نجيب محفوظ بمطالعة العديد من الروايات البوليسية، وغيرها من الروايات، كما قرأ للمنفلوطي، ومترجمات الأهرام، ولطه حسين، وسلامة موسى، والمازني وهيكل، كما قرأ البيان والتبيين للجاحظ والعقد الفريد لابن عبد ربه واتجه بعد ذلك لقراءة الشعر، فنجد أنه بدأ كتاباته بتأليف الشعر " وفي سنة (1928) اتجه إلى كتابة القصة القصيرة وهو طالب في مدرسة فؤاد الأول الثانوية " [139]. وبعد أن حصل على شهادة البكالوريا التحق بكلية الآداب قسم الفلسفةن وبدأ منذ أول أيام دراسته بنشر أول مقال له سنة (1952)، ترجم كتاب مصر القديمة لجيمس، إذ لمس تشجيعا من موسى سلامة فنشر مقالات فلسفية عديدة في مجلة " المجلة الجديدة " هو لا يزل بالجامعة، " واستمر إلى ما بعد التخرج، ثم أتم دراسة الفلسفة 1934 وكان ترتيبه الثاني على الدفعة، التحق بالدراسات العليا فور تخرجه وبدأ بعد رسالة الماجستير التي كان موضوعها مفهوم الجمال بالفلسفة الإسلامية تحت إشراف الشيخ مصطفى عبد الرزاق " [140]. وفي هذه الأثناء تسلل إليه حب الأدب وبدأ يسيطر عليه، نشر أول قصة قصيرة في المجلة الجديدة الأسبوعية الصادرة يوم 1934/08/04 بعنوان ثمن الضعف وبعد نحو عام من الإعداد للرسالة قرر التخلي عنها وانصرف إلى كلية الآداب وبدأ القراءة في روائعه باهتمام شديد.

---

[139] رجاء النقاش : في حب نجيب محفوظ، ط1، دار الشروق، بيروت، 1995، 136.

[140] نجيب محفوظ : قصر الشوق، ج2، ص6.

I. السيرة الذاتية لنجيب محفوظ :

1. نشأته وطفولته :

نجيب محفوظ عبد العزيز إبراهيم باشا ولد في " الحادي عشر من ديسمبر ألف وتسعمائة وإحدى عشر بحي الجمالية 8 حارة، درب قرمز ميدان بيت القاضي بالقاهرة"[141]. أنجب والده من قبله ستة أشقاء، جاءوا كلهم متعاقبين، أربع إناث وذكرين، ثم تتوقف والدته عن الإنجاب لمدة تسع سنوات، ثم يأتي نجيب محفوظ، عند وصوله سن الخامسة كان الفرق بينه وبين أصغر أخ له خمس عشرة سنة، " وقد كانت ولادته متعسرة في ذلك الوقت– وهو الدكتور نجيب محفوظ باشا – في وقت كان يكتفي بالداية التي تأتي إلى البيت وخلال دقائق تكون الولادة قد تمت. ولادته استغرقت وقتا طويلا،وحين تمت في النهاية قرر الوالدان إطلاق اسم الطيب القطبي الكبير على المولود عرفانا بالجميل"[142].

وقد كانت علاقته بأشقائه علاقة الصغير بالكبار، أساسها الأدب والحشمة فهو لا يعرفهم كأشقاء يعيش معهم حياتهم اليومية، يلعب معهم ويضحك فالبنات كلهن تزوجوا ما عدا واحدة من شقيقاته فهو لم يذكر منها شيئا، والذكور تزوجوا أيضا، أحدهما دخل الكلية الحربية وسافر للخدمة في السودان، لهذا فهو لا يتذكر في بيته إلا والده ووالدته، وكان لا يذكر أي إنسان آخر شاركهم البيت ما عدا الضيوف، عمته وابنة عمته، وناس من الخارج، فأغلب حياته في بيت عاشها كأنه طفل وحيد، ولذلك كانت علاقة الإخوة من العلاقات التي تابعها في حياته باهتمام، وقد كان له ثلاثة أصدقاء أشقاء كانوا دائما يلعبون معا، يذهبون إلى النزهة معا، يضحكون معا، كان يتابعهم ويسأل نفسه، هل كان سيصبح مثلهم، فقد كان محروما من الإحساس بالأخوة...

---

[141] نجيب محفوظ : قصر الشوق، ج2، ص05.

[142] محمد سلماوي : نجيب محفوظ، المحطة الأخيرة، دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009م، ص10.

ولهذا نجده قد صور كثيرا من علاقات الأخوة في أعماله الأدبية وهذا نتيجة لخدماته من هذه العلاقة، يبدو هذا في الثلاثية، في بداية ونهاية، في خان الخليلي...

ومن الأمثلة التي كان محفوظ يلعب فيها عند صغره نجد سطح البيت الذي كان يسكن فيه في الجمالية، ففيه مجال كبير للعب، ففيه ، بط، فراخ، كتاكيت صغيرة، لبلاب ريحان، فقد كان بيتا مستقلا، كل طابق يحتوي على حجرة صغيرة وأخرى كبيرة... حيث توجد غرفة صيفية كانوا ينامون فيها أيام الحر، كان البيت يتكامل إلى أعلى، بقي في الطابق الأول غرفة الاستقبال، في الطابق الثاني غرفة الطعام، وهكذا ربما لصغر مساحة الأرض، كان أيضا يلعب في الشارع مع أطفال وبنات الجيران، وقد كان في صغره " يذكر النساء اللواتي كن يترددن على البيت ليقمن بإعداد الأحجية، وأعمال السحر، كان يرقبهن عندما يختبئ إلى أمه ويجلس معها ليتحدثن" [143].

وقد كانت والدته تصحبه معها لأنه الوحيد لزيارة الأهل والجيران وهكذا رأى كثيرا من مناطق التي تقع في قلب القاهرة.

وانتقلت عائلته من " الجمالية إلى العباسية وعمره اثنا عشر عاما وكان لانتقاله إلى العباسية تأثير كبير في حياته، كانت تحوي الكثير من الخضرة والقليل من المباني، كانت البيوت صغيرة من طابق واحد، وكل بيت تحيطه حديقة، ثم تمتد الحقول حتى الأفق، كان والداه يصطحبانه إلى منطقة حدائق القبة، فيما يلي كوبري الحدائق، وهناك يركبوا تروللي صغير يمشي فوق قضبان، يوغل بهم في الحدائق، كان السكون عميقا والمنطقة كبيرة جدا، تحوي إلا عددا قليلا من القصور" [144]. لكن صداقته التي جمعته بأصدقائه في العباسية استمرت حتى يوم وافته المنية، ولكن حنينه للجمالية بقي قويا وكان دائما يشعر بالرغبة للعودة إليها وإلى أصدقائه هناك.

---

[143] جمال الغيطاني، نجيب محفوظ يتذكر، ط1، دار المسيرة، بيروت، 1980، ص12.

[144] المرجع نفسه، ص17.

وقد كان أصدقاءه بالعباسية مجموعة متناقضة فيها كل نوعيات البشرية من أسماها إلى أدناها، فيها ناس تقلدوا أكبر المناصب المهنية، أطباء، مهندسين ومحاسبين، ومنهم بلطجية وبرمجية ومنهم فتوات ، والعلاقة كانت بينهم حميمة حتى الشديد منهما كان يمارس شره بعيدا عنهم، فقد كانوا أكثر من مجموعة أصدقاء، لكن نجيب محفوظ كان صديقا للكل، كلهم شخصيات لا تنسي بالنسبة له ولم تهن العلاقات عليه رغم البعد عنهم... وهذا غريب.

وقد استوحى نجيب محفوظ شخصيات عديدة من أصدقاء العباسية في رواياته وخاصة " المرايا" الفصول الخاصة بجعفر خليل، خليل زكي، رضا حمادة، حنان مصطفى.... ، " أما طفولته فقد انعكست في " الثلاثية" إلى حد ما وفي " حكايات حارتنا" بشكل أكبر، لكن كانت طفولته طبيعية بمعنى أنه نشأ حياة هادئة مستقرة، لم يكن والده سكيرا، أو مدمن للقمار، لم يكن شديد القسوة" [145]. كما ظهر أحمد عبد الرزاق في الثلاثية وقد كانت أمه تخرج به للتفسح حيث كانت تأخذه إلى متحف الآثار المصرية وخاصة المومياءات، وقد كان شديد التعلق بالسينما المصرية، حيث وهو في الخامسة من عمره كان يتردد على سينما الكلوب المصري في شارع خان جعفر بين القاضي والحسين لمشاهدة أفلام رعاة البقر وشارلي شابلين.

كان المناخ الذي نشأ فيه يوحي بمحبة الوالدين، ومحبة الأسرة، وكان يقدس الوالدين والأسرة، كان الخيط الثقافي الوحيد في الأسرة هو الدين، في سنة 1937 توفي والده عن خمسة وستين عاما، كان يعيش مع والدته في العباسية التي انتقل إليها عام 1924 تقريبا، لكن المكان الذي كان مسنودا إليه ويتطلع إليه هو منطقة الجمالية التي ولد وترعرع فيها حيث كانت مليئة بالسعادة والحب والحزن وكل المشاعر الإنسانية

[145] جمال الغيطاني، نجيب محفوظ يتذكر، ص15.

التي قد تكون سببا في نشأة إنسان ملئ بالعواطف والأفكار والإبداعات الأدبية والفنية المختلفة.

2. بعض الملامح الرئيسية لنجيب محفوظ :

له مشوار طويل في الأدب والفن، طوله بالسنوات 88 عاما، وطوله بالأعمال الفنية 49 عملا أدبيا بين رواية وقصة قصيرة ومسرحية.

نجيب محفوظ رجل متوسط الطول، نحيف جدا كان يعاني مرض السكري وضعف السمع، لكن قلبه ملئ بنور الحب وذكاء المعرفة وقوة النبوغ، هذا الرجل شديد التواضع، صاحب نفس قوية لا تعرف الجزع الشديد ولا تعترف بالأفراح الصاخبة،"ولكنها نفس تعرف المواجهة الدافئة القوية لكل الأفراح والأحزان، ينظر إلى الأمام فإذا وجد طوبة انحنى وحملها بيديه وألقى بها في هدوء إلى جانب الرصيف حتى لا تعوق مسيرته أو مسيرة الآخرين بحيث الجميع، لأنه يحب الجميع، ولا يعرف في قاموسه كلمة الكره وتستطيع مع صاحب المشوار أن تصافحه في أي وقت، وأن تمشي معه وتتحدث إليه في أي موضوع، فلن يردك أو يرفض مودتك وصداقتك حتى لو التقيتما أول مرة، يلبس ملابس نظيفة لكنها غاية في البساطة" [146]. محب للضحك والحياة يستعين بالنكتة على مصاعب الدنيا يخفف بها ما يلقاه من متعصبات وإحباطات ولا شك أن هذه الروح المرحة ساعدته على تكوين درجة عالية من القدرة على الاحتمال في شخصيته.

" ومن الملامح الرئيسية لنجيب والتي لا ينبغي إغفالها في أي حديث أنه كان محبا عاشقا للغناء والطرب، فقد كان في صباه وسبابه الأول عاشقا لصوت صالح عبد الحي وأم كلثوم وصوت عبد الوهاب"[147].

---

[146] رجاء النقاش: في حب نجيب محفوظ، ص10.

[147] المرجع نفسه، ص24.

ظل نجيب محفوظ يتردد أكثر من عشرون سنة على مقهى عرابي في الجمالية و إلى مقهى ريتش

كان نجيب محفوظ لاعب كرة قدم من طراز نادر في أيام صباه في العباسية كان محاورا ومدوارا، ومناورا جيدا، كما قالت رجاء النقاش " لو استمر لناقش على الأرجح حسين حجازي والتنش ومن بعدهما عبد الكريم صقر وأقول الحق وأنا أشهد للتاريخ أنني لم أر في حياتي حتى الآن وأنا مدمن للكرة مثله، فأنا شاهد عدل وأقول " كان أشبه بالصاروخ المنطلق".

لن نجد في حياة نجيب محفوظ أي ثغرات مفاجئة فحياته كانت تتمشى بانتظام هادئ وليس فيها أي مسحة من الاستعجالات أو الانفجاريات أو الأحداث الكبرى المدوية، فقد كثير نجيب منذ بداية وعيه بما يسميه هو نفسه بالواقعية في النظر إلى الأمور، فلم يكن يخدع نفسه أبدا، ولم يكن يتعلق على الإطلاق بأي أحلام صعبة أو طموحات مستحيلة وظل على الدوام محتفظ بصفاء ذهنه وسلامة قراراته الشخصية فيما يتصل بحياته أو أدبه.

" وإذا انتقلنا إلى جانب آخر في مشوار نجيب محفوظ في الفن والحياة، فسوف نجد فيه أساسية بارزة وهي الوفاء للناس والأماكن، فنجيب محفوظ من هؤلاء الفنانين العظماء يعيشون بالعمق ولا يعيشون بالبعض" [148]. أي أنه لا يحب الأماكن المزدحمة بالأشخاص والأحداث والأماكن الكثيرة، لأن هذا الازدحام يؤدي إلى السرعة في الفهم والشعور، بينما يؤدي لاختيار المحدود للناس والأماكن إلى العمق في المعرفة والإحساس.

ومما يميز شخصيته أيضا بعده عن الغرور فالمغرور لا يستطيع أن يرى العالم غير نفسه، ولا يقيس الأحداث والأشياء إلا بمقياس ذاته والغرور في أي إنسان لا

[148] رجاء النقاش : في حب نجيب محفوظ، ص24.

بد أن يؤدي إلى تدهور الذكاء وانخفاض في مستوى الشعور والإحساس، وعند أي الاقتراب منه يشعر المرء أنه بطبيعته بعيد تماما عن الامتلاء بنفسه، لذلك فذهنه ومشاعره وشخصيته كلها تمتلك تلك النوافذ المفتوحة على الهواء والضوء والقدرة الصحيحة على رؤية ما يجري في العالم خارج حدود الذات الضيقة.

3. عائلتـــه :

والده هو عبد العزيز إبراهيم أحمد باشا وهو " أصغر أبناء أسرته له ست أخوات وإخوة، نشأ في عائلة متدينة، وقد كان هو متدينا كذلك وطنيا متحمسا للزعماء المصريين"[149]. فقد كان يتحدث دائما عن سعد زغلول، ومحمد فريد، ومصطفى كامل، ويتابع أخبارهم باهتمام شديد، وكان إذ يذكر اسم أحد من هؤلاء فكأنما يتحدث عن مقدسات حقيقية، كان يتحدث عن أمور البيت مع أمور الوطن في وحدة واحدة، كان يتكلم عنهم بحماس وكأنه يتحدث عن خصوم شخصيين أو أصدقاء شخصيين، وقد كان غاية في اللطافة وجد محبوب، معظم أيامه في البيت لا سهر في الخارج إلا مرة كل أسبوع سواء في أيام وظيفته، أو عندما أصبح تاجرا، فقد كان موظفا وعندما وصل إلى مدة الخدمة التي يستحق عنها معاشا كاملا، أحال نفسه إلى التقاعد، له أحب الأصدقاء، صاحب متجر كبير، وكان يذهب دائما إلى بورسعيد، قال له، لماذا لا تأتي وتعمل معي، إنني من أثق به، وهكذا تجمع المعاش والمرتب، وأطمئن أنا إلى تجارتي في يد صاحبي، وأعرف أن أسافر وأتفرغ لشغلي، فانتقل والد نجيب محفوظ للعمل معه في التجارة، فكان موظف حسابات والعمل عند صاحبه أقل تعقيدا من قبل، واستمر في العمل مع صديقه حتى سنة 1937 توفي والد نجيب محفوظ عن عمر يناهز الخمسة والستين عاما.

---

[149] نجيب محفوظ : قصر الشوق، ج1، ص05.

وكانت والدة نجيب محفوظ رغم عصرها منطلقة، فهي كانت قادرة على الخروج من منطقة الحسين لتزور الأهرام والمتحف المصري، وقسم المومياءات، وقد كانت تصطحب معها نجيب محفوظ ومن الصفات لوالدته أنها كانت عصبية لحد ما ولكنها حبوبة.

أما أبنـــاءه فلم يرزق نجيب محفوظ بالأبناء ، ولكنه أنجب بنتين الكبرى " أم كلثوم" وبعدها جاءت " فاطمة" "على أن "أم كلثوم" لم تكن الجنين الأول، فقد رزق نجيب محفوظ جنينا قبلها وكان ذكرا، لكن زوجته اكتشفت بعد أشهر أنه توفي في أشهره الأولى دون أن تعرف، ودون أن يعرف الطبيب الذي كان يشرف على حالتها، كان كلما كشف عليها قال: (كويس، كويس هو الآخر)، لكن الجنين كان قد مات حين صدمتها دراجة أثناء سيرها في أحد شوارع الإسكندرية، أعطاها الطبيب حقنا لتثبيت الجنين الذي كان فاقد للحياة منذ فترة، لكن بعد أسابيع ظهرت الحقيقة، وتم إنزال الجنين"[150]. ولم ترزق بجنين بعده إلا بعد سنتين وحين خرجت "أم كلثوم" للوجود، فسماها نجيب محفوظ باسم أجمل ما كان يعتبره في عالم الفن وهي كوكب الشرق التي ملأت الأمة العربية بهجة وجمالا على مدى عشرات السنين، كما فعل هو في مجال الأدب فصار كل منهما رمزا لأمته وعنوانا شامخا عل رقيها الأدبي والفني.

وعندما كبرت " أم كلثوم" كان بدهشة، فقد كان لها استعدادا للفن التشكيلي، حتى ظن أنها ستتجه إلى دراسة الرسم، ولكن هذا لم يحدث، حيث أنها لم تتخصص في هوايتها الحيدة، وبدلا من ذلك التحقت بالجامعة الأمريكية وقد اشترطوا عليها سنة لدراسة اللغة.

كانت " أم كلثوم" تبدوا عصرية المظهر، لكنها متدينة وقبل أن تنام كانت تقرأ القرآن كل ليلة، عرف نجيب محفوظ أنها تصلي صدفة في أحد الأيام، إلى جانب ذلك

---

[150] محمد سلماوي : نجيب محفوظ، المحطة الأخيرة، ص31.

تحب الغناء الإفرنجي والعربي، لكنها خسرت عامين من عمرها بعد حصولها على الثانوية العامة وذلك نتيجة لتدخل والدها الذي كان يود أن تلتحق بكلية الآداب، قسم اللغة الانجليزية، أصرت على الآداب لكنها لم تستطع الاستمرار بعد أن التحقت بها لمدة عام بالفعل، وبعد خروجها سجلت في الجامعة الأمريكية.

وبعد ما ولدت" أم كلثوم" جاءت " فاطمة "وهو إ سم والدة "نجيب محفوظ" كما أنه إ سم " أم كلثوم" في أحد أفلامها...زهرتان طاهرتان أخذنا منه كل صفاته الجميلة دمانة الخلق إلى التواضع وحلاوة المعشر "[151]. كبرت ابنة محفوظ الصغيرة واتجهت أيضا إلى الجامعة الأمريكية. حيث درست السكرتارية. طبعا كان مزاجها كأختها "أم كلثوم" ولكنهما مختلفان عن والدهما في بعض الأشياء مثلا فهما "فهما تحبان الموسيقى الغربية على عكسه الذي أحب وعشق الموسيقى الشرقية"، وقد لاحظ محفوظ انطوائيتها من المدرسة إلى البيت، حيث كان من المفروض حسب رأيه أن يتشبعا بروحه، لكنهما نقيظتاه في كثير من الأشياء، حيث كان يتساءل من أين جاءتهما هذه المؤثرات على الرغم من أنهما لا يختلطان بالخارج لمدة كبيرة، فيهما نفس سمات الجيل، الذوق الغنائي، الاهتمام بالعالم، وليس بالواقع المحلي، ولكنه أدرك أن جيله غير جيلهم، وقد قدر لابنتاه وهما العزوفيتان عن حب الظهور وبريق الأضواء أن تظهرا أمام العالم أجمع وتسلط عليها أكثر الأضواء بريقا، وهما تقفان أمام ملك السويد " كارل جوستاف الثاني" لتتسلما منه الجوائز الأدبية في العالم نيابة عن والدهما.

" ويبدو أن الأستاذ نجيب محفوظ بعد أن فقد ابنه الأول جنينا غير مكتمل النمو، قرر أن يتبنى جميع أبناء وطنه عوضا عن الابن الذي راح"[152].

فهكذا كان يعامل معارفه المقربين جميعا كأنهم أولادهم فيختار لهم الوظائف المحترمة وينشر لهم قصصهم في أماكن متميزة.

---

[151] محمد سلماوي: نجيب محفوظ، المحطة الأخيرة، ص31.

[152] المرجع نفسه، ص32.

4. حياته العاطفية :

أ. الحب الأول ...والكير...

لقد تمكن الحب من الأديب نجيب محفوظ لحد كبير خاصة في فترة شبابه وهو لم يستطع تتبع أثرها لأنها إبنة عائلة اندثرت منذ مدة قصدهم أصبح عمارة، كانت سراياهم في شارع بالعباسية، وشارع الملكة نازلي، أصبح مكان السراي الآن عمارتين حديثتين، فهو لم يكن يعرف مصيرها، أو أين هي، في مصر أو خارج مصر، حتى إخوتها انقطعت أخبارهم عنه، وقد كانت تسكن قريبتها في الطابق الذي يقع تحته في البيت الصغير الذي كان يسكنه في الإسكندرية، وقد قابل إحدى المرات ابن عمها الدكتور، ولكنه ليس من المعقول أن يسأل عنها، " فهو لم يكن يعرف إذا ما زالت حية أو ميتة، الشيء الوحيد الذي يعرفه عنها أنها تزوجت مهندسا، قيل هذا في زمن بعيد، وبعد زواجها لم يرها إلا مرة واحدة في ميدان الإسماعيلية، واسمه الآن ميدان التحرير"[153].

كتب نجيب محفوظ الكثير من أعماله تحت تأثير الحب، حيث قال " ليس من الضروري وأنا أعيش التجربة، لكن بعد مرورها، وأعتقد أن الأديب يبدع أفضل ما عنده وهو يحب، ولما كان حب المرأة ليس متاعا دائما،فقد كان حب أي شيء محل حب المرأة"[154]. فالتعبير عن تجاب الحب بعد الانتهاء منها يظهر كل أبعادها و يبرئها من التحيز، ويساعد على خلق عمل جديد كما عبر في قصصه عن كثير من المنحرفات، لكن ما هو موجود في الحقيقة أو الواقع المعاش أفظع بكثير، ونجيب محفوظ يعتبر أن رواياته حشمة مقارنة بالواقع وما يحدث فيه من انحرافات، فما يحدث في الحياة الاجتماعية التحية مرعبة، ومحفوظ سعى لعدم تجاهلها وإظهارها للعيان،

---

[153] محمد سلماوي: نجيب محفوظ يتذكر، ص107.

[154] المرجع نفسه، ص110.

وأرجع انحراف النساء لظروف ساحقة، وإن لم تكن المرأة مصابة بانحراف في عقلها فإنها لن ترضى بهذه الحياة، وأن الرجال أنهم مسؤولون في معظم الأحيان عن انحراف المرأة وفساد أخلاقها.

ب. **زواجـــه :**

لعبت المرأة دورا كبيرا في حياة نجيب محفوظ، إذ لم يكن مثل السياسة فهو يفوقها، أثر الوالدة قي التربية ونوع الثقافة التي منحتها إياه رغم أنها لم تكن مثقفة، ثم تجربة الحب الأول الذي سيطر على حياته إلى درجة كبيرة، وبعد ذلك تجارب حب أخرى يمكن تسميته حبا طياريا، لكن كان له الأثر الكبير في تعرفه إلى عدد كبير من النساء والفتيات، نماذج عجيبة غريبة، ظهرت فيما بعد في أعماله كلها، ثم تجيء قصة زواجه الغريبة، إذ أنه تزوج كما ذكر "بدون أي تخطيط يذكر، وبعد فترة من الصراع هل أتزوج أم لا أتزوج؟ تماما كالأزمة التي مررت بها في الثلاثينات، الأدب أم الفلسفة؟ ثم حسمت الصراع بقرار ألا أتزوج، وكانت أمي تلح علي في الزواج، رتبت لي مشاريع زواج عديدة، زيجات معقولة ولا بأس بها، وأرفض... كيف تزوجت إذن؟ كنت أعرف صديقا، وفي أحد الأيام عرفني بزوجيه وأخت زوجته، وأجد نفسي أتزوج شقيقة امرأته...هكذا![155]. وهكذا تزوج نجيب محفوظ ولم يعرف بأمر زواجه إلا عدد قليل من عائلته، وقد أحس بالشفقة على أمه التي كانت تجهز ترتيبات مختلفة لزواجه،حيث نصحاه أخوه وأخته بكتمان الخبر فقد كانا يعلمان بموضوع زواجه، وقد بدأ يفضي بأمر زواجه لأمه على درجات حتى لا يحدث لها صدمة.

تزوج عام 1954م، خلال توقفه عن كتابة الرواية في فترة اليأس الأدبي وعمره قد تجاوز الأربعين، تزوج وهو يكتب للسينما، ومن المرجح أن الفراغ الذي كان يعانيه في هذه الفترة هو دافعه الرئيسي للزواج، إذ أن الشيء الذي كان يخيفه قبل

---

[155] جمال الغيطاني : نجيب محفوظ، يتذكر، ص113.

هو الأدب وأن لا يوفيه حقه وينصرف عنه، حيث كان يتصور أن الزواج سوف يحطم حياته الأدبية ويلهيه عنها، ولكنه تصور خاطئ حيث أنه تابع واستأنف الكتابة وبعدها تيقن أن حياته الزوجية قد ساعدته على عكس تصوره القبلي.

5. تعلمه وثقافته :

في الرابعة من عمره ألف وتسعمائة وخمسة عشر ذهب إلى كتاب الشيخ بحيري، وكان يقع في حارة الكبايجي بالقرب من درب قرمز، والتحق بمدرسة بين العصرين الابتدائية، وانتقل في المرحلة الثانوية إلى مدرسة فؤاد الأول التي حصل فيها على شهادة البكالوريا، وبعد أن تحصل عليها التحق بكلية الآداب قسم الفلسفة وفي هذه الفترة بد أن قراءات نجيب محفوظ بمطالعة قسم العديد من الروايات البوليسية، وغيرها من الروايات، كما قرأ للمنفلوطي ومترجمان الأهرام، ولطه حسين، وسلامة موسى، والمازني وهيكل، كما قرأ البيان والتبين للجاحظ والعقد الفريد لابن عبد ربه واتجه بعد ذلك لقراءة الشعر، فنجد أنه بدأ كتاباته بتأليف الشعر، "وفي سنة 1928 اتجه إلى كتابة القصة القصيرة وهو طالب في مدرسة فؤاد الأول الثانوية"[156].

وبعد أن حصل على شهادة البكالوريا التحق بكلية الآداب قسم الفلسفة، وبدأ من أول أيام دراسته بنشر أول مقال له سنة 1932، ترجم كتاب مصر القديمة لجيمس، إذ لمس تشجيعا من موسى سلامة فنشر مقالات فلسفية عديدة في مجلة "المجلة الجديدة" وهو لا يزال بالجامعة، "واستمر إلى ما بعد التخرج، أتم دراسة الفلسفة 1934 وكان ترتيبه الثاني على الدفعة، التحق بالدراسات العليا فور تخرجه وبدأ يعد لرسالة الماجستير التي كان موضوعها مفهوم الجمال بالفلسفة الإسلامية تحت إشراف الشيخ مصطفى عبد الرزاق"[157]، وفي هذه الأثناء تسلل إليه الأدب وبدأ يسيطر عليه، نشر أول قصة قصيرة في المجلة الجديدة الأسبوعية الصادرة يوم : 1934/08/04 بعنوان

---

[156] رجاء النقاش : في حب نجيب محفوظ، ص 136.

[157] نجيب محفوظ : قصر السوق، ج2، ص 6.

ثمن الضعف وبعد نحو عام من الإعداد للرسالة قرر التخلي عنها وانصرف إلى كلية الأدب وبدأ القراءة في روائعه باهتمام شديد.

6. حياته العملية :

أ. أهم أعمال نجيب محفوظ :

إن نشاط الأديب الكبير نجيب محفوظ يمتد على نصف قرن من الزمان، فرواياته تتجاوز الأربعين، عدا مسرحياته ومجموعات مبدعة جدا من القصص القصيرة أظهر فيها باعا طويلا وعمقا فنيا أصيلا، وقد قصر عمله وفنه على مصر والقاهرة بالذات، وأصبح المؤرخ الفكري والاجتماعي والسياسي لمصر على مدى قرون من العهد الفرعوني وحتى أيامنا هذه ورواياته المتعددة تعكس حياة المصريين وعاداتهم وآلامهم في حقبة زمنية تمتد خمسة آلف سنة وهذا الأدب سواء أكان رواية أو مسرحية أو أقصوصة فهو يمتاز بواقعية، وصدق تصويره، وقوة إحساسه، وبالتالي فهو يشكل مجهر اطلع منه العالم على حقيقة مصر، ومعاناة شعبها، وكفاح الإنسان سعيا إلى الحرية والحياة الكريمة والاعتناق الفكري على مدى عصور.

وقد لوحظ ثلاث مراحل متداخلة في روايات نجيب محفوظ هي :

❖ **المرحلة التاريخية :** تنتسب إليها رواية "عبث الأقدار ورادويسين، وكفاح طيبة"، وهي جميعا تتخذ من التاريخ المصري القديم موضوعا ولكن الروايات الثلاث تنير إشارات رمزية واضحة إلى واقع اجتماعي حديث في حياة مصر، أثناء الحكم الملكي، ويرى الأستاذ محمود أمين العالم أن الرواية الأولى تدين سياسة الاستبداد والقوة وتسخر منها، والثانية تنتقد الفساد الملكي، والثالثة تعنى بقضية تحرير وادي النيل، سياسيا واجتماعيا[158].

[158] لطفي منصور : بحوث ودراسات في الأدب والحضارة، ص 406.

فهذه الروايات تعتبر تاريخية لأنها استرجعت في محتوياتها تاريخ مصر وما مرت به من معاناة وسيطرة واستبداد سياسي وفساد ملكي وكل ما يمد بصلة إلى فساد السلطة والحكم السياسي المستبد الظالم، بخاصة في رواية كفاح طيبة التي تحث كثيرا على الجهاد.

❖ **بداية المرحلة الاجتماعية :** وتبدأ هذه المرحلة برواية القاهرة الجديدة التي تعتبر فاصلا بين روايات نجيب محفوظ ورواياته الواقعية، وينظم إليها "القاهرة الجديدة" و"خان الخليلي" و"زقاق المدق" و"السراب"، ففي رواية "خان الخليلي" يراها النقاد « مجموعة من النماذج الهاربة من التبعية الاجتماعية والتي تلوث المجتمعات الكبيرة وهي منصرفة إلى الأعمال الصغيرة وبديهي أن الأمور المنافية للعقيدة الإسلامية التي تدور في هذه الرواية منافية لسوق الناقد ولا تروقه على الإطلاق، ولكن ما يهمنا هو وقوفه عند حوار جدى في المقهى، يتحدث من موقف عامة الشعب من هتلر ومناصرته للقضية الإسلامية"[159].

والنقاد هنا لا توجد شخصية واحدة في رواية خان الخليلي تروقه، فالمعلم "نولو" شخصية مسطحة لا امتداد ولا عمق لها، وأكثر خطرا منها شخصية "أحمد راشد" لمحامي اليساري، وممكن الخطورة أن هذه الشخصية لا تبحث عن العدالة كقضية، وإنما تبحث عن التغيير أو الهدم، كذلك رواية "زقاق المدق" هي " رواية مأساوية تجري أحداثها في حي قديم من أحياء القاهرة، يغص بالسكان أما زمن الأحداث فهو خلال الحرب العالمية الثانية وهدف الكاتب لتصوير قضايا الشعب المصري ومشكلاته أثناء الحرب أمام الحياة وإمكانيات العمل التي وفرها الاحتلال

[159] مؤتمر النقد الدولي الحادي عشر : تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر، ص 856.

الانجليزي لمصر، وتدهور الأخلاق وانعدام الأخلاق الخلفية "[160] لسعي الناس وراء الرفاه الزائف.

حيث يرى البروفيسور سوميج أنه لا يوجد بطل واحد في هذه الرواية، وإنما البطل الحقيقي هو الزقاق نفسه والزمن، وأبطالهما هم "حميدة" الفتاة اللاهية وراء الثروة وحياة الطبقة العليا، فتوافق أمها على فسخ خطوبتها من "عباس الحلو" لترتبط بكهل غني وهو التاجر "سليم علوان" غير أنه لا ينيع نهمها فتلتحق "بفرج" صاحب مدرسة للدعارة، وترتمي أخيرا بين أحضان جنود الاحتلال.

❖ **المرحلة الاجتماعية :** تضم مرحلتين أخريين هما : الفلسفية والاجتماعية الجديدة، تتمثل هذه المرحلة في روايتي "بداية ونهاية" و"قصر الشوق السكرية وبين القصرين رواية بداية ونهاية" " رواية مأساوية من النوع العنيف، تدور أحداثها وسط قصر السوق وبين القصرين ويصور حياة عائلة انتابتها الكوارث والفواجع، كان موت الأب بداية الكارثة ثم تفسخ الأسرة وانهيارها بين الدعارة والمخدرات والآمال الفاشلة، ثم الانتحار أخيرا هي النهاية.

عائلة فقدت الأب فانهارت، وتردت في السلوك الشائن لأن المجتمع المصري لا يمكن لها أبا أو منقذا ينتشلها من المزالق" [161] أبطالها ثلاثة إخوة : حسين نموذج للانحلال والطيش والعجر والهروب، حسين نموذج للإنسان المتزن الطيب والجاد، حسين نموذج للشاب الأناني الطموح، نفيسة نموذج للفتاة الساذجة الطيبة التي وقعت ضحية الفساد الاجتماعي الخانق والمميت الذي صنع منها عاهرة محترفة.

من إبداعات "نجيب محفوظ" التي نال بها "جائزة نوبل" للآداب عام " 1988م" وقيمة إبداعه وجودة فنه، الثلاثية العمود الفقري في أدبه، بل في الأدب العربي الحديث

---

[160] لطفي منصور : بحوث في الحضارة والأدب، ص 407.

[161] مرجع نفسه، ص 407.

عامة حيث قال أحد النقاد «لقد لاقت "الثلاثية" حماسا في مصر، وفي الأقطار العربية الأخرى، وبعد محفوظ منذ أن نشرها أهم الأدباء المصريين»[162].

وبهذه الكلمات البسيطة لا يمكن الكشف عن خصائص "الثلاثية" وما تحمل من معيار فني، فإن من يقرأ "الثلاثية" ويقرأ ما كتبا عنها من نقد ودراسات سرعان ما يفهم أن الكلمة الأخيرة في "الثلاثية" لا تقل بعد، وأن تلك الكلمة تبقى للأجيال القادمة، لأنه سيكون لكل جيل مفهومه الخاص "الثلاثية" ويرى صورته فيها، وسوف تتعده المفاهيم بتعدد الصور المتجددة فهي ظاهرها تحكي حياة أسرة في ثلاثة أجيال متعاقبة (الأجداد، الأبناء، الأحفاد) وفي ثلاثة أجزاء "بين القصرين" و"قصر الشوق" و"السكرية".

❖ **المرحلة الفلسفية :** تضم المرحلة الفلسفية خمس روايات وهي :"أولاد حارتنا"، "الشحاذ"، "اللص والكلاب"، "السمات والخريف"، "الطريق"، فأولاد حارتنا عبارة عن ملحمة أخرجت الرواية العربية من الإقليمية الضيقة إلى العالمية الواسعة، لأنها ملحمة الحياة وقصة البشرية، ومنذ وطئت أقدام أمام هذا الكوكب، إلى عصرنا هذا، عصر العلم والمعرفة.

إن نجيب محفوظ في أولاد حارتنا يعيد كتابه تاريخ البشرية من جديد على هدى الأديان السماوية الثلاثة، " لقد عمد محفوظ إلى الرمز ليتجنب الصدم مع الأوساط الدينية فابتدع خياله حارة كباقي حارات القاهرة هي حارة الجبلاوي، التي يتوسطها بيت الجبلاوي بجنانه وترفه وعظمته، وبديهي أن محفوظ رمز بالجبلاوي إلى الله الذي خلق الناس"[163].

ويتابع الكاتب قصة أدم من الطين، وإغواء الشيطان له بعد أن عصى الأخير ربه، وتمرد عليه لتفضيله أدم عليه واتخذ من القرآن والتوراة مادة لقصة "ورمز إلى

---

[162] لطفي منصور : بحوث في الحضارة والأدب ، ص 410.

[163] المرجع نفسه، ص 413.

أدم باسم أدهم وإلى إبليس باسم إدريس وحكى قصة طرد أدم وبكائه على الفردوس المفقود الذي يحوي أسرار الجبلاوي وتوزيعه للتركه – إن الجبلاوي يقدم أدهم على إدريس عليه لما يرى فيه من الخير والطباع السليمة، وبالرغم من تقدم إدريس في السن، بينما يطرد الأخير من بيته– وهكذا يتوافق تماما مع طرد إبليس من الجنة – ويصب عليه اللعنة إلى يوم الدين"[164] أو القيامة.

فيأخذ في حكاية المؤامرة لأخيه أدهم ويغريه بأن يطلع على سر أبيه ويطمئن على مستقبله ومستقبل بنيه في التركة ولما لم يلق أدنا صاغية فاستعان بأميمة زوجة أخيه أدهم لترمي بثقلها في هذه المسألة ونجحت بإغراء زوجها– تماما كما نجحت حواء في إغراء أدم ليأكل من الشجرة، فكانت النتيجة أن طرد أدهم بعد أن فؤجئ بالجبلاني– بينما كان يهم لفتح صندوق الأسرار، تماما كما طرد أدم من الجنة.

أما رواية "الشحاذ" فبطلها عمر الحمزاوي الذي تقلب بين الواقعية والمثالية، ولكن مع فرق واحد وهو أن صابرا كان يمارس الواقعية والمثالية في وقت واحد، أما عمر فكان واقعيا في شبابه، باحثا عن الحقيقة في كهولته وكلا الرجلين لم يصلا إلى الحقيقة وانتهيا نهاية غامضة.

وفي رواية " اللص والكلاب" تبرز بطلها سعيد مهران الذي كان تلميذا في الشيوعية – لرؤوف علوان– الانتهازي " فعندما سمحت له فرصة العمل المجدي مع الدولة كرئيس تحرير لمجلة "الزهرة" ترك الحزب والفكر وتعامل مع الدولة وأما تلميذه فأراد أن ينتقم من أستاذه هذا، ومن كل الخونة ولكنه قتل رجلا بريئا عن طريق الخطأ"[165] فرؤوف علوان ممثل الحزب الشيوعي في مصر، وأما سعيد فهو صورة

---

[164] لطفي منصور : بحوث في الحضارة والأدب، ص 414.

[165] عودة الله منيع القيسي : نجيب محفوظ تكتيك الشخصيات الرئيسية والثانوية في (رواياته)، ط1، دار البداية ناشرون وموزعون، الأردن، 2007م، ص 180.

مطورة لمحجوب عبد الدايم الذي كان ناقما على المجتمع بسبب تركيبته الطبقية وكان يريد أن يصل إلى المال والجاه.

وفي الروايات الفلسفية يبحث الأبطال عن الحقيقة والعدالة والطريق "التي ترمز إلى عدم الاهتداء إلى سر الوجود أو حقيقة نظام الكون، أو حقيقة المبدع هذا الكون كما ترمز أيضا إلى الثورة" [166] ولكن للأسف أخفق كل هؤلاء الأبطال في الوصول إلى الحقيقة والعدالة.

❖ **المرحلة الاجتماعية الجديدة :** تضم هذه المرحلة الروايات ما بين "ثرثرة على النيل" و"ميرامار" وفيها يعالج الوضع الاجتماعي في مصر، بعد مرور أكثر من عقد على الثورة وظهور جيل جديد، ففي رواية "ثرثرة على النيل" يركز الناقد على "الخواء الروحي لقطيع الشحاذين هذه المرة لإضافة على المثقفين من تيار العمل السياسي والقيادي وإشعارهم بأنهم زائدون عن الحاجة، ويرى أن المشكلة التي وقع فيها أهل العوامة هي أنهم يريدون الحياة بينما كان من الواجب عليهم البحث عما يسمى بإرادة الإنسان"[167].

فنجيب محفوظ في هذه الرواية يعالج الوضع الاجتماعي في مصر بعد مرور أكثر من عقد على الثورة وظهور جيل جديد في ظل الإصلاحات الجديدة وقوانين تحديد الملكية، التي تدور أحداثها سنة 1964، صورة بشعة لفقدان الطريق، للعزلة الكاملة والسلبية المطلقة إزاء حركة الحياة، وتمثل الرواية الطبقة البرجوازية في المجتمع المصري، وأصحاب المراكز فيه، بكل أزماتها وانغماساتها بالملذات وهذه الطبقة تمثل جيل الثورة الجديدة الذي نشأ وترعرع على المبادئ الجديدة.

أما في رواية "ميرامار" يحتل "البنسيون" محل "العولمة" في "ثرثرة على النيل" ويرمز "نجيب محفوظ" إلى مصر بواسطة "زهرة" الفتاة الريفية التي أثقلتها

---

[166] عودة الله منيع القيسي : نجيب محفوظ تكتيك الشخصيات الرئيسية والثانوية في (رواياته)، ص 189.

[167] مؤتمر النقد الدولي : تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر، ص 866.

التقاليد البالية فهذبت من الريف لتجد لها ملجأ في "البنسيون"، الذي يمثل روح الجديدة وتمثل شخصياته جميع قطاعات المجتمع المصري الجديد، وسرعان ما يخيب أمل الفتاة لواقعها الجديد، وتشعر أنها بحاجة إلى اطمئنان وحب وسعادة، " وهنا سيعرض هذه الرواية ويحاول أن يبين للقارئ عدم تعارض إلى سلام مع الفن" [168] وقد استوحى ما قاله من الوضع الذي انتهى إليه "عامر وجدي" بعد أن كان طالبا أزهريا وارتكب "حماقة الفن" فكان جزاؤه الطرد والحرمان.

ب. مناصب العمل التي احتلها نجيب محفوظ :

عام 1930 التحق بجامعة القاهرة وحصل على ليسانس الفلسفة، شرع بعدها بإعداد رسالة الماجستير عن الجمال في الفلسفة الإسلامية، لكنه عدل قراره وركز على الأدب، بعد ذلك عمل سكرتيرا برلمانيا في وزارة الأوقاف (1938– 1945)، ثم مدير المؤسسة القرض الحسن في الوزارة حتى (1954)، ثم مدير المكتب وزير الإرشاد، ثم انتقل إلى وزارة الثقافة وعمل مدير للرقابة على المصنفات الفني، وفي (1960) عمل مديرا عاما لمؤسسة دعم السينما، ثم مستشارا للمؤسسة العامة للسينما والإذاعة والتلفزيون وآخر منصب حكومي شغله كان رئيس مجلس إدارة المؤسسة العامة للسينما (1966– 1971)، وتقاعد بعده ليصبح أحد كتاب مؤسسة الأهرام.

ج. بعض المواقف والقرارات المهمة في حياته العملية :

نشير هنا إلى بعض القرارات والمواقف المهمة الأساسية في حياة نجيب محفوظ، ومن ذلك أنه " رفض طيلة حياته أن يعمل بالسياسة رغم أن كتاباته الروائية والقصصية جميعها على التقريب قائمة على فهم عميق للسياسة ومتابعة دقيقة لأحداثها المختلفة، فنجيب في فنه كاتب سياسي من الدرجة الأولى " [169]. نشير والسبب أنه حدد

---

[168] مؤتمر النقد الدولي : تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر، ص 867.

[169] رجاء النقاش: في حب نجيب محفوظ، ص 21.

لنفسه بدقة دائرة الحركة فقد اختار أن يكون كاتبا أو أديبا ولا شيء غير ذلك، كذلك نجده وضع خطا دقيقا فاصلا بين الأدب والصحافة فاختار الأدب ورفض العمل بالصحافة رغم الإغراءات الكثير المقدمة له، وعندما ارتبط نجيب محفوظ بصحيفة الأهرام كان هذا الارتباط أدبيا وليس صحفيا.

ومن قراراته أيضا أنه لم يستعجل في الزواج وبناء أسرة له فقد تزوج بعد أن تجاوز الأربعين من عمره وكان دافعه الأساسي أن لا يربك حياته في مراحلها الأولى بمسؤوليات قد تؤدي إلى تواصله عن إعطاء أدبه وما يحتاج إليه من تفرغ واهتمام وهذا لا شك نوع من التضحية.

7. جائزة نوبل لنجيب محفوظ :

أهم حدث ثقافي عربي في القرن العشرين:

وأخيرا واصلت جائزة نوبل إلى العرب بعد انتظارها ما لا يقل عن نصف قرن من الزمان، فقد كان بعض الأدباء العرب يحملون بأن ينالها في الثلاثينات جبران خليل جبران وخاصة بعد أن لفت أنظار العرب بكتاباته المختلفة في اللغة الانجليزية، كما كان البعض يحملون بأن ينالها طه حسين ، وخاصة بعد كتاباته الأدبية ذات الطابع الإنساني مثل الأيام ودعاء الكروان والحب الضائع وأديب وكان من الطبيعي ألا ينال أحد من أدباء العرب ومفكريهم جائزة نوبل وأن تبقى المسألة كلها في دائرة الأحلام الكبيرة والبعيدة كل البعد عن التحقيق فقد بقيت كثير من البلدان العربية حتى ربع قرن مضى خاضعة خضوعا مباشرا للاستعمار العربي، وكان هذا الاستعمار يضن علينا بلقمة العيش وحرية التعبير ، ولم يكن يخطر على البال أن يلتفت الغربيون في ظل استعمارهم لنا إلى الثقافة العربية، أن يهموا بها، وأن يفتحوا لها باب التقدير والتكريم ويمنحوا الأحد رموزها تلك الجائزة المتميزة في الغرب كله وهي جائزة نوبل.

ولم يكن العرب وحدهم موضع إهمال جائزة نربل، بل امتد هذا الإهمال إلى ما نسميه الآن باسم العالم الثالث كله، أي دول أسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وبم تكسر قاعدة الإهمال للعالم الثالث لأول مرة إلا عند منح هذه الجائزة للشاعر والأديب الهندي راندیدرانات طاغور سنة 1913، وبعد أن نال طاغور جائزة نوبل، عادت الجائزة إلي تجاهلها لأدباء العالم الثالث، وظل الأمر على هذه الصورة، حتى نالها أحد أدباء أمريكا اللاتينية وهو بابلو نيرودا من شيلي، ثم نالها من أمريكا اللاتينية أيضا أديب بارز هو ماركيز صاحب رواية مائة عام من العزلة سنة 1982، ثم نالها سنة 1986 أديب إفريقي من نيجيريا وهو الكاتب الفنان سونكا.

" وأخيرا جاء دور العرب، فنال جائزة نوبل عام 1988، كبر روائي في الأدب العربي وهو نجيب محفوظ، فقد كان عدد كبير من الأدباء يحومون حول هذه الجائزة منذ فترة طويلة، وذهب بعضهم للعيش في أوروبا سنوات متصلة ويسعى إلى ترجمة أعماله إلى اللغات الأجنبية ويوثق علاقاته بأدباء الغرب " [170]. ولعل ذلك كله من العوامل المساعدة على جائزة نوبل.

بل لقد ذهب بعض الأدباء إلى السويد، مواطن الجائزة، واتصلوا بالأوساط الأدبية هناك آملين أن يكون في ذلك ما يلفت إليهم الأنظار فيحصلوا على هذه الجائزة العالمية" [171].

ولكن الجائزة كانت من نصيب نجيب محفوظ، الذي لا يحب السفر خارج مصر ولم يسعى يوما إلى الاتصال بالأوساط الأدبية العالمية، وهو لم يجري يوما وراء الجائزة أو غيرها، وكل جهده ووقته كان منصبا لأعماله الأدبية المختلفة اعتقادا منه وإيمانا راسخا في قلبه أن الإجادة الفنية هي الأساس الأول والوحيد لأي نوع من أنواع النجاح.

---

[170] رجاء النقاش: في حب نجيب محفوظ.

[171] المرجع نفسه، ص31.

والحقيقة أن نجيب محفوظ هو الأجدر لنيل جائزة نوبل لأنه المؤسس الحقيقي لفن الرواية العربية، حيث تقدر قيمة الجائزة بثلاثمائة وثلاثة وتسعين ألف دولار، علما أن أول أجر تقاضاه نجيب محفوظ عن أول كتاب ظهر له قرش صاغ واحد، فعندما كان نجيب في المستشفى أيامه الأخيرة قبل مفارقته الحياة سئالة محمد سلماوي عن أول أجر له فقال جابه: قريش صاغ واحد فضحك الممرضون وتركوا ما كانوا يفعلون، وأحاطوا بسريره يسمعون إليه في شغف، ويبدوا بأن إحساسه بأنهم ينتظرون أن يسمعوا منه الحكاية دفعه للكلام فقال: كانت رواية عبث الأقدار أول رواية كتبتها – وكم كان أجرك عنها؟ قال لم يكن نقودا، وإنما 500 نسخة من الكتاب، قلت وماذا فعلت بها؟ قال وضعتها في عربة حنظور وأنزلتها عند أول مكتب صادفتها وعرضت المتب على صاحبها، وقلت إنني لا أعرف ما أفعل بها، فرأف الرجل بحالي، وقبل أن يأخذ الكتب بالسعر الذي قلته له، وقال إني لن يعطني حض إلا كلما بعثت نسخة "[172]. وهكذا من هذا الجنيه الواحد لإلى الثلاثمائة وثلاثة وتسعين ألف دولار يمتد هذا المشوار الطويل الباهر لنجيب محفوظ فنجيب محفوظ يستحق هذه الجائزة "بأدبه وفنه وجده، وقد تأخرت الجائزة في الوصول إليه لدرجة أن ذلك قد بدأ يؤثر على مصداقية الجائزة نفسها" [173]. حيث كان مرشحا لنيل جائزة نوبل 150 أديبا حيث اختير نجيب محفوظ من بين هؤلاء ليترأسهم ويحظى بالجائزة فنجيب محفوظ قضى أكثر من ستين سنة متصلة في عمله الأدبي وخلال هذه الفترة الطويلة أخلص إخلاصا كاملا لعمله وقلمه، فلم يشغل نفسه بأي شيء آخر مثل البحث عن الكسب المادي أو الوصول إلى مناصب عليا لها في المجال الأدبي، فالإنتاج الأدبي الأصيل يحتاج إلى الموهبة الطبيعية العالية، ونجيب محفوظ يتمتع بهذه الموهبة الخصبة منذ بداياته، كما تميز بميزة الوعي السليم بتطور الحياة وتطور الأساليب الفنية، وقد ساعدته هذه الميزة على

---

[172] محمد سلماوي : نجيب محفوظ، المحطة الأخيرة، 10.

[173] المرجع نفسه، ص53.

تخليص أدبه من الجمود عند حدود مدرة أدبية واحدة، ونجيب محفوظ كما نعلم كان يكتب منذ أكثر من نصف قرن " وخلال هذه المدة حدثت تطورات سريعة ومتلاحقة في حياة العالم وفي حياة المجتمع العربي كذلك حدثت تطورات أخرى كبيرة في الحياة الأدبية والفنية، ولو أن نجيب محفوظ استمر في الكتابة بنفس الأسلوب الذي كان يكتب له في الثلاثينات أو الأربعينات لتوقفت قيمته عند حدود ما نسميه بالقيمة التاريخية "[174]. ولأصبح الآن كاتبا غير مقروء من الأجيال التي ظهرت منذ الخمسينات إلى يومنا هذا. ولكن نجيب محفوظ كان شديد الحساسية للتطورات الكبرى في المجتمع والعالم والفن،مما جعله كاتبا معاصرا على الدوام وقد كان أيضا له القدرة على مخاطبة الإنسان في أي مكان إلى جانب القدرة على مخاطبة الإنسان في وطنه.

فنجيب محفوظ من هؤلاء الأدباء العظماء الذين إلى الإنسانية والعالمية من خلال حواري القاهرة الشعبية ومن خلال النماذج البسيطة من أبناء هذه الحواري الذين يعيشون فوق أرض مصر.

وإذا كان محفوظ قد نال جائزة نوبل، وكان أول عربي يحصل عليها فالجائزة في الواقع هي جائزة للثقافة العربية التي استطاعت أن تنجب كاتبا عظيما من الدرجة الأولى وبهذا المعنى يكون العرب قد حققوا أول انتصار حضاري في المجال العالمي، وهو انتصار لم يحققوه لقوة المال لا بقوة السلاح، بل بقوة العقل والروح، ولم يتسن ما قاله الأستاذ البروفسور سوميخ في أوائل السبعينات عندما كان يدرس الأدب الحديث وتطور الرواية: " إن نجيب محفوظ روائي غير عادي ومع كل رواية جديدة يفاجئنا بشيء جديد مما يزيد من دهشة وحيرة، ومعني هذا الكلام أن سيد الرواية العربية لا

[174] رجاء النقاش: في حب نجيب محفوظ، ص 33.

يدور على نفسه في أدبه ولا يكرر ما قاله سابقا، بل هو في كل رواية جديدة يندفع إلى رؤية جديدة وينتقل بفكر القارئ من مستوى إلى مستوى أعلى منه" [175].

وإذا كان نجيب محفوظ يكتب من مصر وحدها، فإنه قد حرص منذ بدايته الأدبية سنة 1932 على ألا يكتب إلا باللغة العربية الفصحى وبذلك قدم محفوظ لبلد قاطعا ساطعا على أن هذه اللغة الأصلية ليست عائقا بينه وبين التقدم والنهوض كما يردد المفروض وصغار العقول والنفوس. إن حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل هو بغير جدال أهم حدث ثقافي في القرن العشرين، والتي استلهم فاطمة وأم كلثوم عن ملك السويد في عاصمة السويد بعد اعتذار نجيب محفوظ عن عدم السفر إلى السويد وحضور الحفل العالمي لأسباب صعبة وإذا أسعد أديبنا بحصوله على هذه الجائزة الملايين من أبناء وطنه وأبناء العرب أجمع الذين سيشاركونه سعادته، وإذا كان نجيب محفوظ قد نال جائزة عالمية، فقد نلنا نحن العرب جائزة أخرى أهم وأجمل هي نجيب محفوظ نفسه.

[175] لطفي منصور: بحوث ودراسات في الحضارة والأدب، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2007م، ص 403.

www.alriyadh.com

8. وفاتـــــه :

تعرض نجيب محفوظ لمحاولة اغتيال آثمة يوم 14 أكتوبر 1994، ولكنها لم تود بحياته ولكنها تسببت في إصابة يده اليمنى، يد الكتابة بعجز جزئي أوقفته عن الكتابة فتحول عموده الأسبوعي في الأهرام بناءا على طلبه إلى حوار يجريه مع محمد سلماوي كل أسبوع لينشر في نفس مكان عموده القديم وعندما تسأله لماذا وقع اختيارك على إجابة " لأنك مختلف عني، فأنا ابن ثورة 1919 وأنت تنتمي لجيل ثورة 1952، وأنا كاتب وروائي وأنت كاتب مسرحي، أنا اشتهرت بالأسلوب الواقعي في الأدب وأنت تميل إلى مسرح العبث... لذلك فالحوار بيننا سيكون ثريا فأنا لا أريد شخص يتفق معي في كل شيء وكل ما أقوله يرد عليه بآمين "[176]. كان تاريخ 2006 مساءا آخر يوم سبت يلتقي فيه سلماوي مع نجيب محفوظ ليتناقشا في أمور العمل والرد على الخطابات التي تصل محفوظ.

ففي الصباح الباكر ليوم الأحد، تعثر الأستاذ في غرفة نومه ووقع على الأرض فأصيب في مؤخرة رأسه، وعند دخول ابنته الصغرى فاطمة وجدته فاقد الوعي وينزف بشدة، فنقل على جناح السرعة إلى المستشفى العسكري المجاور لمسكنه، تم علاجه وقد كان مقرر له أن يغادر المشفى خلال أيام قليلة.

وفي يوم الإثنين 7 يوليو 2006 كان الخبر قد انتشر بين أصدقاء الأستاذ، كان أول المتصلين للاطمئنان علي نجيب محفوظ الرئيس حسني مبارك وفي نفس اليوم اطمأن عليه رئيس الوزراء الدكتور أحمد نظيف، ووزير الداخلية والإعلام وحضر وزير الثقافة فاروق حسني لزيارته بالمستشفى ثم توالى حضور المسؤولين والأصدقاء والمعارف وكان في مقدمتهم جمال الغيطاني ويوسف القعيد، فتحي هاشم، نعيم صبري، وكثيرون غيرهم.

---

[176] محمد سلماوي: نجيب محفوظ، المحطة الأخيرة، 10.

وعند مضي أيام قليلة وصل سلماوي صباحا كعادته كل يوم فوجده نائما وعلى وجهه بعض الكدمات وعندما سأل الطبيب قال أنه وقع من فوق السرير في الليل وهو نائم ولكن الأطباء المشرفين كانوا متفائلين لوضعه عند السؤال عن حالته الصحية.

ومضت أيام أخر اكتشف الأطباء أن هناك خللا في وظائف الكليتين لكنه ورغم حالته الصحية التي بدأت بالتدهور كان متنبها لما يجري حوله، لمن يدخل عليه أو يخرج.

طالت زيارة نجيب محفوظ للمستشفى فكل يوم ينتظر محبيه خروجه ورجوعه إليهم ليكمل حياته ومع انتظار خروج نجيب، تفطن الأطباء لإصابته بانسداد في الشعب الهوائية لأنه لا يسعل، لذلك فهو لا يطرد البلغم" [177].

وهنا رتب الدكتور حسام المشرف على رعايته لمؤتمر صحفي يومي على الساعة الثانية عشر ظهرا كي يطلع الإعلام على آخر التطورات الصحية للأديب الكبير، وفي اليوم الموالي بعد وصول سلماوي وجد الدكتور حسام إلى جانبه وعند سؤاله عن تقييمه الشخصي للحالة قال " أنها حرجة بلا شك لكنها غير ميئوس منها"[178].

وبعد مضي قليل من الوقت أخذت صحته بالتدهور شيئا فشيئا وإلى حد وصوله إلى مرحلة خطيرة نظرا لعدم تناوله الطعام لما يقارب عشرة أيام، فهو لا يستيقظ خلال هذه الفترة إلا لدقائق معدودة فقط، فقرر الطبيب إجراء عملية وذلك بفتح فتحة صغيرة في المعدة ويتم من خلالها إدخال خرطوم من خلالها وحقنه بالطعام، وبعد مضي أيام على هذه الحال أصيب كذلك بنزيف القولون وقد حاول الأطباء طوال تلك الليلة إيقاف النزيف مستخدمين منظارا داخل الأمعاء حتى يتمكنوا من كي موضع النزيف.

---

[177] محمد سلماوي: نجيب محفوظ، المحطة الأخيرة، 51.

[178] المرجع نفسه، 51.

وفي ذلك اليوم جلبت السيدة حرمه " عطية الله " مع محمد سلماوي وأخبرته أمها سمعته في آخر مرة يتكلم وذلك قبل أن يغيب عن الوعي أشخاص رحلوا جميعا من عالمنا وأنها تعرفت من بينهم على اسم " صلاح شاهين ".

وهكذا توالت الأيام وأديبنا الكبير نجيب محفوظ في حالة تقارب الغيبوبة لأنه لا يفيق إلا في مدة قصيرة ثم يرجع إلى نومه العميق حتى أتم الشهر ونصف وهو في المستشفى بعد أن كان مقدرا له أن يخرج بعد يومين أو ثلاثة أيام من دخوله لها بعد حادثة سقوطه على رأسه في منزله، وبعد مرور هذه الفترة في المستشفى وفي اليوم الأخير عند الساعة الثامنة وعشرة دقائق من صبيحة 30 أغسطس 2006، لفظ عملاقنا نجيب محفوظ أنفاسه الأخيرة في المستشفى العسكري المجاور لمنزله، وقد أقيمت صلاة الجنازة على روحه الكريمة الطاهرة في مسجد الحسين كما كان طلبه رغم طلب الرئيس إجراء الصلاة في مسجد القوات المسلحة بمدينة نصر، وبعد ذلك اتجهوا به إلى المقبرة، رفع النعش على الأعناق واتجهوا به صوب قبره ومثواه الأخير، وانطلقت طلقات نارية يدوي صوتها وسط صمت الصحراء.

II. ملخص الرواية :

تناول نجيب محفوظ أحداث ومجريات الحياة داخل أسرة السيد أحمد عبد الجواد بأسلوب شيق يسحب القارئ من خلاله إلى فترة الأربعينيات في مصر، الذي من خلاله يمكنه من الإطلاع على ماله صلة بتلك الفترة ومعرفة على أجواء القاهرة وبيوتها واستهل روايته بوصفه للسيد أحمد عبد الجواد، واستقبل زوجته أمنة له وذلك بعد عودته إلى حياة الشهر والطرب والخمر والعود مع أصدقائه الثلاث والتي تركها بعد وفاة ابنه فهمي في ثورة 1919.

وبعد مرور تلك الفترة كبر ابنه الثاني كمال وتحصل على شهادة البكالوريا وتشهد الأسرة احتفالا بهذه المناسبة، وقد حاول أحمد بن الجواد أن يقنع كمال بأن يدرس في كلية الحقوق ولكن كمال يرفض ذلك ويفضل كلية المعلمين وذلك لشغفه بالآداب والعلوم والفلسفة، وقد شاركت كل من أختيه خديجة وعائشة وزوجيهما في هذا الاحتفال إذ هما متزوجتان من أخوين، فكانت خديجة دائمة المشاكل مع حماتها على عكس أختها عائشة فهي تعاملها كأم لها.

وقد بدلت أمها أمنة كل جهدها في نصحها وأخفت كل هذا عن أحمد عبد الجواد، فهي زوجة مطيعة له وتعتبره سيدها ولا تستطيع أن تواجهه بأخطائه، فهو مزدوج الشخصية، صاحب هيبة ونفوذ ومحافظ على أداء الصلوات في البيت ومع أصدقائه هو الصديق المرح على عكس ما هو عليه في البيت، أما ابنه الأكبر ياسين من زوجته الأولى، فتزوج من ابنة صديقه محمد عفت وأنجب منها طفلا، وقد انفصل عنها لأنه كان شهواني بدرجة كبيرة، ولا يعرف سوى حياة الخمر والنساء، وبعد طلاقه أعجب بجارته مريم التي كانت حبيبة أخيه فهمي وأراد أن يتزوجها، ولكن أمينة رفضت ذلك ورغم هذا تزوجها وأخذها معه إلى البيت الذي تركته له أمه في قصر الشوق.

أما كمال فانتقل إلى الدراسة في كلية المعلمين وكان يزور صديقه حسين شداد في بيته مع حسن سليم وإسماعيل الذين كانوا مختلفين عنه في كل شيء فكرا ومبادئ ومستوى، فأحب أخت حسين شداد عايدة لكنا لم تختره حبه وبقيت تسخر منه ومن طربوشة ولبسه التقليدي وعيرته بفقره، وبمرور فترة من الزمن يعلن حسين شداد خطبة عايدة من صديقهما حسن سليم، فيتفاجئ كمال وينهار كليا، جعله هذا يكفر بمبادئه.

فذهب مع أحد أصدقائه للسهر مع النساء كأول تجربة له، فدخلا أول بيت امرأة وجداها، وبالصدفة يلتقي بأخيه ياسين عندها، وفي ذلك الوقت كان أحمد عبد الجواد يزور بيت زبيدة العالمة مع أصدقائه ويتفاجئ بأن الطفلة زنوبة قد كبرت فيحبها ويشتري لها منزلا لكي يذهب عندها في كل ليلة.

وفي أحد الخمارات تلتقي زنوبة بياسين فشربا الخمر معا حتى السكر وأخذها معه إلى بيته، فتنفصل عنه مريم ويقرر هو الزواج من زنوبة، ويتزوجها وتحمل منه بسرعة دون أن تعرف أن والده هو السيد أحمد عبد الجواد، فدخلت أسرته كزوجة محترمة.

وتنتهي الرواية بخبر ولادتها ووفاة سعد زغلول الزعيم المصري وقائد ثورة 1919م الذي شغل منصب رئيس الوزراء ورئيس مجلس الأمة أنداك.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

I. الكتـــب :

1. إبراهيم أحمد ملحم : في تشكيل الخطاب الروائي، سميحة خريس : الرؤية والفن، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2010م.
2. إبراهيم جنداري : الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2001م.
3. ابن منظور : لسان العرب، ضبط خالد رشيد القاضي، ج 1، دار صبح، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
4. ابن منظور : لسان العرب، ضبط خالد رشيد القاضي، ج 3، دار صبح، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
5. ابن منظور : لسان العرب، ضبط خالد رشيد القاضي، ج 5، دار صبح، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
6. أحمد عطية : الرواية السياسية، دراسة نقدية في الرواية السياسية، مكتبة مديلولي، القاهرة، (دط)، (دت).
7. إسماعيل بن حما الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (تح) : أحمد عبد الغفور عطار الجر، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.
8. إسماعيل بن حما الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (تح) : أحمد عبد الغفور عطار الجر، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.
9. أنطوان زحلان : العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 1989م.
10. أنطوان نعمة وآخرون : المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط 2، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، دت.

11. بلقاسم دفة : التحليل السيميائي للبنى السردية، محاضرات الملتقى الوطني الثاني، السيميا والنص الأدبي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، (دط)، 2002م.
12. جمال الغيطاني : نجيب محفوظ يتذكر، ط1، دار المسيرة، بيروت، ط1، 1980م.
13. جميل حمدواي : السيميوطبقا والعنونة، مجلة علم الفكر، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، (دط)، 1997م.
14. حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمان، الشخصية)، الركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1990م.
15. حسن نافعة : مصر والصراع العربي الإسرائيلي، من الصراع المحتوم إلى التسوية المستحيلة، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 1984م.
16. حسن نجمي : شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2000م.
17. حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، (دط)، 2005م.
18.رجاء النقاش : في حب نجيب محفوظ، دار الشروق، بيرت، ط1، 1995م.
19. رزان محمود إبراهيم : الرواية التاريخية بين الحوارية والمنفولوجية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008م.
20. زهور ونيمي : من يوميات مدرسة حرة، المؤسسة الوطنية للفنون للمطبوعات، الجزائر، (دط)، 2009م، غلاف الكتاب.
21. سحر سليمان الخليل : الأدب العربي الحديث، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، ط1، 2010م.
22. سعد الدين إبراهيم وآخرون : مصر والعروبة ونورة يوليو، مركز دراسة الوحدة العربية، لبنان، ط1، 1982م.
23. سعيد يقطن : انفتاح النص الروائي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1989م.

24. سليم بوعجاجة : الطاهر وطار، تحولات الكتاب، ثبات الرؤية، مجلة الثقافة، العدد 118، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزء5، (دط)، 2004م.
25.سيد البحراوي : علم اجتماع الأدب، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1993م.
26. شعيب خلفي : هوية العلامات في الكتبات والبناء والتأميل، النجاح الجديدة، المغرب، ط1، 2005م.
27. شفيع السيد : اتجاهات الرواية العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1996م.
28. شكري النابلوسي : جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية في الدراسة والنشر، بيروت، ط1، 1994م.
29. شكري عياد : مدخل إلى علم الأسلوب، عالم الكتب الحديث، الرياض، (دط)، 1982م.
30. صابر عبد الدايم : فنون الأدب المعاصر بين النزعة الواقعية والتجربة التأصلية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، (دط)، 2008م.
31. صفوات عبد الله الخطيب : الأصول الروائية في رسالة حي بن يقضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (دط)، 2007م.
32. الطاهر ورواياته : القضاء الروائي في الجازية والداروس (عبد الحميد بن هدوفة، دراسة في المعنى، مجلة المساءلة (اتحاد الكتاب الجزائريين)، (دط)، 1991م.
33. عاستون باستلار : جماليات المكان، دار الجاحظ للنشر والتوزيع، بغداد، (دط)، 1980م.
34. عبد الحميد بن هدوفة : ريح الجنوب، ج 1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبوعة، الجزائر، (دط)، 1998م، غلاف الكتاب.
35. عبد الرحمان بن عبد الحميد علي : النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، دار الكتاب الحديث، القاهرة، (دط)، 2005م.

36. عبد الرحمان بن محمد خلدون : مقدمة ابن خلدون، (تح) : عبد الواحد والمي، ج 1، شركة النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 2006م.
37. عبد العزيز شبيل : الفن الروائي عند غادة السمان، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، (دط)، 1987م.
38. عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية، بحث في التقنيات السردية مجلة عالم المعرفة، الكويت، (دط)، 1998م.
39. عبد الوهاب شعلان : المنهج الاجتماعي وتحولاته من سلطة الايديولوجيا إلى فضاء النص، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2008م.
40. علي عبد الحميد مراشدة : في الشعر العربي الحديث، محمود ساعي البارودي، عالم الكتب الحديث، مصر، (دط)، 2009م.
41. علي عبد الرزاق جبلي : دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (دط)، 1984م.
42.عودة الله منبع القيس : نجيب محفوظ تكتيك الشخصيات الرئيسة والثانوية في (رواياته)، دار البداية ناشرون وموزعون، الأردن، ط1، 2007م.
43. فضيلة فاطمة دروش : سوسيولوجيا الأدب والروابط، ط1، دار أسامة لنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013م.
44. لطفي منصور : بحوث ودراسات في الحضارة والأدب، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007م.
45. مؤتمر النقد الدولي المعاصر : تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، (دط)، 2006م.
46. محمد بدوي : المجتمع المشكلات الاجتماعية، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، مصر، (دط)، (دت).

47. محمد رزق حامد : الأدب العربي وتاريفه في العصر الجاهلي، دار العلم والإيمان، ط1، 2010م.
48.محمد سلماوي : نجيب محفوظ المحطة الأخيرة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبوعة، الجزائر، (دط)، 2009م.
49. محمد فكري الجزار : العنوان والسيميوطبقة الاتصال الأدبي، الهيئة العامة للكتاب، الكويت، ط2، 1998م.
50. موسى إبراهيم النمر : جماليات التشكيل الزماني والمكاني لروايته الحواف، مجلة فضول، مج12، العدد2، القاهرة، 1993م.
51.نادر أحمد عبد الخالق : الرواية الجديدة، بحوث ودراسات تطبيقية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.
52. نادر أحمد عبد الخالق : الشخصية الروائية بين علي أحمد بكير ونجيب الكيلاني، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2009م.
53. نجيب محفوظ : قصر التسوق، ج 5، مؤسسة طاسيلي للنشر والتوزيع، مصر، (دط)، 1989م.
54. نزيه أبو نضال : التحولات في الرواية العربية، المؤسسة العربية، لبنان، بيروت، ط1، 2006م.
55. ياسين النصير : إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، (دط)، 1986م.
56. يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، الأردن، (دط)، (دت).

II. المواقع الإلكترونية :

1. http:/ www.ar.wikipedia.org/wikia

فهـــــــرس الموضوعات

مقدمة :..... أ– د

الفصـــل الأول : البيئة والمجتمع والأدب

I. ضبط المصطلحات :..... 01 - 11

1. تعريف الرواية..... 01 - 05

أ. لغـــة..... 01 - 02

ب. اصطلاحا..... 02 - 05

2. تعريف البيئة ..... 05 - 07

أ. لغـــة..... 05 - 06

ب. اصطلاحا..... 06 - 07

3. تعريف المجتمع..... 07 - 11

أ. لغـــة..... 07 - 08

ب. اصطلاحا..... 08 - 11

II. علاقة البيئة بالأدب ..... 11 - 12

III. العلاقة بين المجتمع بالأدب..... 13 - 16

IV. ظهور الواقعية..... 16 - 18

الفصـــل الثاني : الرواية والمجتمع المصري

I. نشأة الرواية العربية ..... 19 - 22

II. أنواع الرواية العربية ..... 23 - 31

1. التاريخية..... 23 - 25

2. الاجتماعية..... 25 - 27

3. السيرة الذاتية..... 27 – 28

4. الأسطورية..... 28 – 29

5. النفسية..... 29 - 31

III. أهم روادها العرب..... 31 – 37
IV. الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المصرية قبل وأثناء القرن العشرين..... 37 - 40
V. البيئة الاجتماعية المصرية في عصر نجيب محفوظ..... 41 - 43
الفصـــل التطبيقي : تحليل الرواية
I. قراءة في العنوان ..... 44 - 47
1. تحليل العنوان..... 44
2. محتوى العنوان..... 45 - 47
II. دلالة العنوان وعلاقته بالمكان..... 48 - 56
1. دلالة العنوان..... 48 - 51
2. دلالة المكان..... 51 - 56
III. الشخصيات والنماذج الإنسانية..... 57 - 64
IV. الأبعاد الاجتماعية..... 65 - 81
1. الجنس..... 65 - 66
2. التمسك بالدين والعقائد ..... 67 - 69
3. ازدواجية السلوك..... 70
4. الاختلاف في الانتماء السياسي..... 71 – 72
5. المرض..... 72 – 75
6. الاحتفال بالبكالوريا..... 76 – 77
7. الزواج..... 78 - 81
خاتمـــة..... 82 – 83
ملحق ..... 84 - 113
I. السيرة الذاتية لنجيب محفوظ..... 84 – 111
II. ملخص الرواية..... 112 - 113
قائمة المصادر والمراجع. ..... 114 – 118
فهرس المحتويات : ..... 119 - 120